عين المدينة

نبنيـــها معاً

www.3ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

في المدينة...

- العزاء في ظلّ داعش ص4
- محطّات المياه بلا "كلور" ص6
- ارتفاعٌ متواصلٌ في أسعار القمح ص7
- "توبة" مدير تربية الرقة ص8
- داعش والذهب ص9
- ماذا يريد كرد سورية ص12+13
- سيرتان لخليفة داعش ص14
- صعود الفلاحين السوريين ص16+17

عين المدينة | العدد (45) | 16 آذار 2015

مجلة نصف شهرية مستقلة

عدسة نوّار - موحسن

#ارفع_علم_ثورتك

تمرّ الذكرى السنوية الرابعة لانطلاق الثورة في هذه الأيام وهي تحمل نكهةً جديدةً تختلف عن ما سبق أن لاحظناه في السنوات الماضية، عندما كانت دليلاً ثقيلاً على تعثّر المهمة وبطء إنجازها. في هذا العام، قرّر الثائرون معاندة الوقت أيضاً؛ إن لم يكن من طول سنوات الثورة بدٌّ فنحن مستعدون!

لا أحد يريد إطالة مدّة المعاناة، بالطبع، سوى النظام الذي يراهن على كسب الأسابيع وراء الشهور، سعياً لإنهاك الثورة وجمهورها، وأملاً في تثبيت بقائه كأمرٍ واقع. ومن هنا تأتي أهمية ردّ الثوّار، وتعاطيهم المتفائل هذه المرّة مع ذكرى الثورة، وتأكيد خيارهم الذي بات مشهداً ملحميّاً.

والحقّ أن هذا التفاؤل لا يأتي من فراغ؛ فمن جهةٍ وصل ضعف النظام إلى درجة الحضور المباشر والرئيسيّ لقوّات الاحتلال الإيرانيّ ومرتزقة الأفغان الشيعة في معاركه، بعد أن استُنزف جمهوره المعتاد وانكشفت أمامه صورة الوضع كثورة، لا مؤامرةً خارجيةً سخيفة. ومن جهةٍ أخرى يبدو أن سرطان داعش في المناطق المحرّرة قد بلغ مداه وأخذ في التراجع، عسكرياً على الأرض وجاذبيةً في أعين بعض من انخدع بشعاراته وانبهر بدعاية قوّته. ومن جهةٍ ثالثة يبدو أن تلكؤ المجتمع الدوليّ عن نصرة الثورة والسوريين يأخذ بالتخلخل هو الآخر، بعد استنفاد كلّ المبرّرات والمحاولات الديبلوماسية والحلول الأممية السقيمة، وتفاقم الوضع إلى درجةٍ باتت تفيض على الإقليم، مخاطر وأعداداً هائلةً للاجئين.

ولكن، أيا يكن الأمر، وسواءً تسارعت مبرّرات التفاؤل أم تأخرت، فـ«عن ثورتنا ما في رجوع».

إحباطٌ آخر للأسد بُعيد تصريح كيري
وأعضاء الكونغرس الأمريكيّ يحذّرون طهران ويحرجون أوباما

هيئة التحرير

لم تدم فرحة وسائل إعلام النظام بالتصريح الملتبس لوزير الخارجية الامريكيّ، جون كيري، بضرورة التفاوض مع بشار الأسد، لوقتٍ طويل. إذ سرعان ما أعادت تفسيراتٌ أمريكيةٌ لاحقةٌ للتصريح الأمور إلى نصابها المعهود بخروج الأسد من صيغة أيّ حلٍّ مستقبليّ. فقالت الناطقة باسم الخارجية الأمريكية، جينيفير بساكي، إن "الأسد ذاته لن يكون طرفاً في أيّ عملية تفاوض"، وإن الوزير كيري لم يقصد ذلك، "إنما استخدم الأسد كمختصرٍ" للنظام بكامله. وأكدت بساكي على مواقفٍ أمريكيةٍ سابقةٍ حول التفاوض بين المعارضة والنظام، مذكرةً ببديهية أنه "لا يمكن أن يتفاوض المرء مع نفسه. ثمة حاجةٌ في الوقت عينه للمعارضة وللنظام حول الطاولة". ونبّهت إلى أنه "ليست هناك أية عملية تفاوض قائمةٍ ولا على وشك الحدوث". وإلى جانب التلقف الفرح لنظام بشار الأسد لعبارة كيري، برزت المواقف الحازمة من عواصم غربيةٍ عبّرت عن الموقف الرافض لأيّ دورٍ لبشار في أيّ حلٍّ قادم؛ إذ قال وزير الخارجية الفرنسيّ، لوران فابيوس، إن "الأسد لا يمكن أن يكون جزءاً من الحلّ في سوريا"، وقالت الخارجية البريطانية إن لندن "ترفض أيّ دورٍ للأسد في مستقبل سوريا".

خوجة في باريس

استقبل الرئيس الفرنسيّ، فرانسوا هولاند، وفد المعارضة السورية برئاسة خالد خوجة، رئيس الائتلاف الوطنيّ، ومشاركة رئيس الحكومة المؤقتة ووزير دفاعها وشخصياتٍ معارضةٍ أخرى. وأكد خوجة في مؤتمرٍ صحفيٍّ عقب لقائه بهولاند أن إسقاط بشار الأسد هو الهدف النهائيّ لأية عملية تفاوض، وأنه من غير الممكن "حلّ مسألة الإرهاب دون إزالة الأسد". وفي تصريحاتٍ سابقةٍ خلال الزيارة قال خوجة إن مبادئ جنيف1 هي الأساس الذي يجب أن تقوم عليه أية عملية تفاوض مستقبلية. وأبدى خوجة استعداده للتفاوض مع ممثلين عن النظام للحفاظ على "استمرارية الدولة وحماية المؤسسات والجيش والوزارات"، مميزاً بين الإطاحة بالنظام وانهيار الدولة. وفي باريس أيضاً التقى خوجة بالمبعوث الأممّي ستيفان دي مستورا، وأشاد بجهوده ومحاولاته لفعل شيءٍ ما في مهمته الصعبة، "لكن ما يريده السوريون هو وقف حمام الدم ووقف المجازر". وانتقد خوجة تلكؤ المجتمع الدوليّ وتقاعسه عن تخفيف معاناة السوريين، وخاصّةً موقف أصدقاء سورية المتفرّجين على جرائم النظام ثم على جرائم داعش: "اكتفى حلفاؤنا للأسف بالوقوف وقفة المتفرّج، وها نحن اليوم أمام تنظيم داعش أفظع منظمةٍ إرهابيةٍ في التاريخ". وأشار إلى وقوف الثورة والمعارضة السورية وحيدةً أمام الأسد وداعش: "لم يدعمونا أمام ظهور هذا الوحش. ولدينا الآن قوّات الأسد التي تقصفنا بالبراميل المتفجرة من الجوّ، ومتطرّفو تنظيم داعش الذين يقتلوننا على الأرض".

الكونغرس يحذّر طهران

في تطورٍ لافتٍ في سياق مفاوضات الأسرة الدولية، بقيادة الولايات المتحدة، مع النظام الإيرانيّ حول برنامجه النوويّ، وجه أعضاءٌ من الكونغرس الأمريكي رسالةً مفتوحةً إلى القادة الإيرانيين. وحملت الرسالة، التي وقع عليها السيناتور الجمهوري توم كوتون و46 عضواً جمهورياً في الكونغرس، تحذيراتٍ لقادة طهران بأن الكونغرس وحده يملك سلطة رفع العقوبات المفروضة على إيران، وبأن الرئيس المقبل - المرجّح أن يكون متشدّداً مع طهران- يمكن أن يُبطل، و"بجرّة قلم"، أيّ اتفاقٍ غير مرضٍ قد يبرمه الرئيس الحاليّ، في تلميحٍ إلى صلاحيات أوباما التي تتيح له تعليقَ العقوبات. وأثارت الرسالة ردود فعلٍ غاضبةً من أركان الإدارة الأمريكية، فاتهم نائب الرئيس، جو بايدن، الأعضاء الجمهوريين بمحاولة تقويض سلطة الرئيس في منتصف مفاوضاتٍ دوليةٍ حسّاسة، وعلق المتحدّث باسم البيت الأبيض، جوش إيرنست، على رسالة الجمهوريين معتبراً إياها "جهداً منحازاً يهدف إلى إضعاف قدرة الرئيس على قيادة السياسة الخارجية". وجاء الردّ الإيرانيّ مشككاً بالنوايا الأمريكية، وملمّحاً إلى تأثيرات إسرائيل، وقال إن "الحكومة الأميركية تدّعي خطأً إدارة شؤون العالم، وتتصوّر أنها تمتلك قوّةً كافيةً، لكنها تعاني من سقوط الأخلاق السياسية"، بحسب تصريح علي لاريجاني، رئيس مجلس الشورى الإيرانيّ.

معارك كرٍّ وفرٍّ في حلب ودرعا...
والأكراد يتقدّمون في الشمال

هيئة التحرير

من غير المستغرب أن تبثّ وسائل إعلام النظام الأسديّ، وفي مقدّمتها التلفزيون الرسميّ ووكالة سانا، خبر سيطرة القوّات الأسدية على مناطق من ريف حلب الشماليّ أكثر من مرّة، دون أن يبدو لخبر خروج هذه القوّات من تلك المناطق أيّ حضور على نشراتها. وما يبرّر تكرار أخبار سيطرة النظام على المناطق ذاتها هو معارك الكرّ والفرّ، والعمليات العسكرية السريعة، وطبيعة الاشتباكات التي تشهدها هذه المنطقة. ففي واقع الحال على الأرض لم يحقق جيش النظام تقدّماً، بل ما زالت معركة باشكوي، المستمرّة منذ حوالي ثلاثة أسابيع، على حالها، مع تقدّمٍ طفيفٍ لقوّات المعارضة.

تبدو جبهات حلب، خلال الأيام الأخيرة، من أسخن مناطق الاشتباك في سوريا، خاصّةً مع تعزيزاتٍ استقدمها النظام لمنع وصول فصائل المعارضة إلى منطقتي نبّل والزهراء، ولقطع طرق الإمداد عن المدينة، وهو ما لم يحسم بعد. كما أن تقدّم النظام باتجاه حندرات، التي يحاول منذ أشهر السيطرة عليها، لم يجدِ نفعاً حتى الآن. وربما كان تكرار خبر السيطرة على المنطقة بشكلٍ شبه يوميٍّ على قنوات إعلام النظام دليلاً هاماً على انعدام الحسم في المنطقة. ليكون المؤكّد فقط من إنجازات الأسد الهجمات الجوية لطائراته على قرى وبلدات مارع وتل رفعت ودير حافر وعندان ورتيان والملاح.

تقدّم الوحدات الكردية في الشمال

تقدّمت "وحدات حماية الشعب الكردية" ypg، في عدّة مناطق من ريف محافظة الحسكة، وبخاصة في محيط قرية تل تمر، فيما انسحبت مقاتلو تنظيم "الدولة الإسلامية" جنوباً. كما تقدّمت القوّات الكردية أيضاً في محيط بلدة رأس العين، وفي ريف حلب الشرقيّ بالقرب من جسر قره قوزاق، الذي دمّر التنظيم أجزاءً منه بعد انسحابه.

مقاتلون أكراد قرب عين العرب / كوباني - وكالة AFP

وترافقت العمليات التي تنفذها القوى الكردية ضد تنظيم الدولة بغاراتٍ نفذها طيران التحالف الدوليّ أدّت إلى قطع طرق كان التنظيم يستخدمها لنقل العتاد والمقاتلين والبضائع بين العراق وسوريا، وهو ما وصفه التحالف بالعملية النوعية التي تكبّد التنظيم إثرها خسارةً كبرى.

وشهدت معظم المناطق التي تجري فيها الاشتباكات بين القوّات الكردية وتنظيم الدولة حركة نزوح كبيرةً نحو الأراضي التركية، أو باتجاه مناطق أكثر أمناً شمال الحسكة وحلب.

اللاذقية.. معارك مستمرّة

بعد تقدّم أحرزته الفصائل المنتمية بغالبيتها إلى الجيش السوريّ الحرّ ، مع بعض الفصائل الإسلامية، في ريف اللاذقية الشماليّ؛ استعادت قوّات النظام جزءاً من منطقة دورين، التي كانت قوّات المعارضة تتمركز فيها وتوجّه منها نيرانها إلى مواقع تجمعات النظام في التلال المحيطة، وفي المراصد وقمة النبي يونس، وصولاً إلى قرىً قريبةٍ من المدينة.

وقد تقدّمت قوّات النظام بعد معارك عنيفة، استخدمت فيها غالبية أنواع الأسلحة، وأدّت إلى مقتل العشرات من الطرفين. فيما تزامن ذلك مع مقتل محمد توفيق الأسد الملقب بـ"شيخ الجبل"، مؤسّس ظاهرة الشبيحة منذ ثمانينات القرن الماضي، والذي نفت مختلف فصائل المعارضة مشاركته في معارك دورين، بينما أكد ناشطون من مدينة اللاذقية مقتله في اشتباكٍ مع أحد أقاربه.

ولم تمنع سيطرة النظام على جزءٍ من منطقة دورين الفصائل المعارضة من الاستمرار في قصف قمة النبي يونس، والتقدّم نحوها، حيث تتركز المعارك حالياً هناك.

معارك متقطّعةٌ في درعا

على الرغم من التجهيزات بالعدة والعتاد الحربيّ، التي أعدّتها الميليشيات الإيرانية بمساندةٍ من ميليشيا حزب الله اللبنانيّ وفصائل من جيش النظام في محافظة درعا؛ إلا أنه لم يتمّ تسجيل تقدّم يُذكر في الريف الشماليّ للمحافظة خلال الأيام الماضية، في ظلّ ضرباتٍ متتاليةٍ وجّهتها فصائل المعارضة المتمركزة في المنطقة للفصائل الموالية. إذ يتمّ بشكلٍ شبه يوميٍّ تسريب أسماء قياديين إيرانيين ولبنانيين قتلوا في الاشتباكات، لم يكن آخرهم العميد في الحرس الثوريّ الإيرانيّ محمد صاحب كرم أردكاني.

«مجالس العزا»
مظاهر للمقاومة أم سكرة الموت؟

سمهر الخالد

لا تفوت المراقب العاديّ، من أهالي مدينة دير الزور، ملاحظة التغيّرات التي طرأت على أساليب تعزية أهالي المتوفين. إذ لم يعد مسموحاً رسمياً، في ظلّ "الدولة الإسلامية"، تلاوة سورة يسين أثناء الدفن، وقراءة الفاتحة عند الدخول إلى مجلس العزاء، (بدعوى أنها بدعةٌ لدى شرعيي التنظيم ومناصريه). كما توقف الناس عن إرسال ما يعرف بـ"الغرف والجبران" إلى أهل المتوفى (الغرف أكياس رزٍّ او سكّر أو وجبات طعام لعددٍ كبيرٍ من الأشخاص، أما الجبران فهو مبلغٌ ماليٌّ بحسب الاستطاعة ودرجة القرابة من المتوفى) بسبب الضائقة المالية، وكثرة ضحايا القصف. لكن هذا ما يجري على السطح، أما الواقع فهو شيءٌ آخر.

من موقع esyria.sy

تعدّ مجالس العزاء، في عموم سوريا، من مظاهر التضامن الاجتماعيّ، ومن النشاطات الأهلية الراسخة في منظومة العادات والتقاليد. وتشكّل فرصةً للتعارف بين الأقرباء، وباباً للمصالحات بين المتخاصمين. وقد استقرّت مظاهر تلك المجالس عبر السنين، لتشكّل عرفاً لا يُخرج عنه إلا في النادر؛ فلمدّة ثلاثة أيام يتوافد فيها الناس إلى مجلس العزاء، تُدار القهوة العربية المرّة على الحضور في بيت الشعر أو الخيمة، وتُتلى آيات القرآن الكريم (بصوت عبد الباسط عبد الصمد خاصةً)، وتقدّم الولائم للمعزّين. يتذكر أبو محمد، من أهالي دير الزور: "أن الدعوة إلى ترك بعض طقوس التعزية تعود إلى ما قبل الثورة بعدّة سنوات، إذ كانت محاربة هذه الطقوس واحدةً من الأنشطة الرئيسية للمتأثرين بالتيار السلفيّ، في محاولاتهم لإقناع مجتمعاتهم بنظرتهم الخاصّة إلى هذه الطقوس باعتبارها بدعة، دون أن تكون لتلك المحاولات نتائج هامة". ومع بداية الثورة استمرّ الناس على سابق عهدهم في التعزية، بل صار الدفن مصحوباً بالهلاهل (الزغاريد) والهتافات لضحايا رصاص الأمن. وصارت مجالس التعزية بهم مناسبةً تكاد تكون وطنيةً -يجتمع فيها عشرات الآلاف- يؤكّد فيها المعزّون على تضامنهم مع أهل الضحية، وتصميمهم على الاستمرار في الثورة، وتحدّيهم لسلطة الأمن الذي حاول مفاوضة الأهالي، في أحيانٍ كثيرةٍ، على عدم إقامة مجلس العزاء مقابل منحهم تعويضاً مالياً أو راتباً تقاعدياً (في حال كان الضحية موظفاً).

وبعد انتشار السلاح، وبدء قصف المدن، لم يعد هناك وقتٌ أو ظروفٌ مناسبةٌ للقيام بتلك الواجبات التي تتبعها عادةً التربة والأربعينية والخمسينية والمولد.. كما أن تشتت شمل العائلات جعل من الصعب الاجتماع على نطاقٍ واسع، لكنه كان فرصةً لتفادي العداوات التي خلفتها الآراء والانتماءات السياسية. يقول أبو محمد عن تلك المرحلة: "لما كانت تجتمع الناس بالتعزيب -مدنيين وجيش حرّ وجبهة نصرة وأحرار شام...- تبيّن لبعضها أنو صحي مختلفين بس نظلّ أهل". وكانت مجالس العزاء وقتها مجالاً للمناكفات التي لا تخلو من طرافة، فقد كان البعض يتحرّى "أهل اللحى" عند الدخول، فإذا وجدهم امتنع عن قراءة الفاتحة. أما البعض الآخر فكان يتقصّد قراءتها بوجودهم، لينبري الحضور عندها بالغمز والإشارة لمنعه.

اليوم، في ظلّ التباينات بين ما ورثه الأهالي وما يُراد فرضه عليهم بالقوة، تبدو مجالس العزاء ملتزمةً بخطّ التنظيم عند من له صلةٌ بعناصره، أما في الأوساط الشعبية البعيدة عنهم فلا يزال الناس متمسّكين بما ألفوه من طقوس (عندما يكون الأمر أهلية بمحلية). بل أكثر من ذلك، إذ يظهرون مغالاتهم في إحياء عاداتٍ تكاد تكون مندثرةً (كتوزيع السجائر على المعزّين، وفضّ -توزيع- الأكلة التي كان المتوفى يحبّها على المعارف...). فهل هو الشعب يقاوم -بصمتٍ ودون تخطيطٍ- ما يُفرض عليه بالقوّة؟ أم أن هذه العادات، بنكوصها المستمرّ، تلفظ أنفاسها الأخيرة؟

في هجاء الكسل
بين الظاهرة الطارئة والنمط المعاش

علي خطاب

قد يبدو الكسل مكتسباً حضارياً حين يُنظر إليه كنتيجةٍ للتطوّر الكبير الذي سهّل أساليب الزراعة والصناعة والتنقل؛ لكنه يبدو حالةً مرضيةً في مدينة دير الزور التي تقع بين رصاص وحمم نظام الأسد وسكاكين وسياط تنظيم الدولة.

فباستثناء المقاتلين والمسافرين ومن في حكمهم، من الذين يضطرّون إلى التنقّل لجلب البضائع، لا يستيقظ الأهالي أو يخرجون من بيوتهم لقضاء الحوائج قبل صلاة الظهر، أي بعد الحادية عشرة والنصف بتوقيت دمشق (الثانية عشرة بتوقيت الخلافة). أما ظاهرة النوم حتى العصر فمنتشرةٌ بشكلٍ كبيرٍ بين الشباب. ولا يقتصر الأمر على سكّان المدينة، بل يتعدّاها إلى الريف الذي هُجرت فيه الزراعة، وراج العمل في النفط والتجارة (بسبب كثافة النازحين فيه)، التي تعدّ من أساليب الكسب السريع والمريح، بخلاف العناية بالأرض.

إن اتساع خارطة الكسل، وعدم توفيرها الريف، لا يكفيه التفسير القديم الجديد، بأن ظاهرة الكسل -العريقة في دير الزور- وليدة نمط هذه المدينة الاقتصاديّ القائم على التجارة والخدمات ووظائف الدولة، التي حظيت بمكانةٍ مرموقةٍ بين جميع الفئات، لما توفره من دعةٍ ووقتٍ فائضٍ تبتلعه المقاهي والملاهي. فعلم النفس يرى إلى الأمر من زاويةٍ أخرى، قد تسهم في فهمه وتوضيحه: "فالخوف يسبّب مع الوقت حالة توترٍ، من عوارضها التشنج واضطراب التنفس ودقات القلب.. وبدورها ترهق هذه العوامل الجسد، وتؤدّي إلى حالة تعب وخمول"، بحسب آية مهنا، الاختصاصيّة في علم النفس العياديّ من لبنان. هذا من ناحية الخمول الذي يلقي بظلاله في ظروف الحرب على الكثيرين ممن عاينوا وحشية النظام وعشوائيته في القصف، بالتزامن مع بطش التنظيم الذي يعدّ الأنفاس على الناس. لكن البعض يبدي استعداده للعمل، بغضّ الطرف عن سلامته الشخصية، ودون شروطٍ مهنيةٍ، وتقف في وجهه قلة العمل -النظيف خاصةً، بالمعنى الأخلاقيّ-؛ فتجارة الآثار والنفط والسلاح حرام، كما يروج في أوساطٍ شعبيةٍ واسعة، أو أنها "تجيب وجع الراس والمشاكل"، ولذلك يتجنبها الكثيرون. كما أن فرص العمل المتاحة -كما يرى ناشطون- تكاد تكون غير متوافرةٍ خارج التنظيم (بوظائفه العسكرية والإدارية والفنية وغيرها).

أما من ناحية الكسل الذي يرتبط بشخصية وإرادة الإنسان، فتقول مهنا: "الخمول قد يولد الكسل مع الوقت، حتى يحسّ المرء بنفسه بلا فائدة. فهو يرى أن ما يفعله لا يؤخذ بعين الاعتبار، إذ إن الناس لا تعرف حتى أنه هو صاحب العمل، فيترك المهمّات تتراكم". وفي بعض الأحيان "يصل المرء إلى حالة انتظار شيءٍ لا يعرف متى يتمّ، فلا يجد جدوى لما يفعل، ولذلك تصيبه حالة كسلٍ يربطها بحالة يأس واكتئاب" كثيراً ما يصيب الناشطين العاملين في الخفاء حالياً خوفاً من التنظيم، مما يجعلهم ضحية الإحباط بسبب عملهم من جهةٍ، وهويتهم الأصلية التي يضطرّون إلى إخفائها من جهةٍ أخرى، ما يعرّضهم "لحالات الكآبة والصدمات النفسية التي من عوارضها الخمول والتعب والإحساس بالإرهاق الجسديّ". وبحسب مهنا ففي هذه الظروف الصعبة "لا يستطيع الشخص التحكّم إلا في أهدافٍ صغيرةٍ ومحدودة، قد لا تصبّ في العمل الاجتماعيّ والشأن العام، أو قد تكون تافهةً وأنانيةً، لكن وضع خطةٍ للوصول إليها في مدّةٍ قصيرةٍ -حتى إن بدا ذلك مضحكاً- قد يساعد الشخص على الإحساس بالاستمرارية".

تعتاد الأذن، بل تنتظر، تبرير الناس "شكون أريد أشتغل بهالظروف؟!". يجد هذا التبرير ما يؤيده، ولكن المخيف -بحسب ناشطين- هو تحوّل الكسل إلى أسلوب حياةٍ قوامها الفقر والتخلف، بخلاف الكسل الذي يتمتع فيه البعض بالاستفادة من الثراء وتطور التكنولوجيا.

للفنان عبد العزيز الفياض

نفاد الكلور السائل
من محطّات تصفية المياه في دير الزور

خليل عبد الله

يحاول تنظيم "الدولة الإسلامية" فرض حضوره في كلّ شأنٍ من شؤون السكان في المناطق الخاضعة لسيطرته، مما يؤدّي إلى مشاكل كبرى سيعجز التنظيم عن تقديم حلولٍ لها.

لجأ العاملون في محطّات تصفية المياه في محافظة دير الزور إلى استخدام مادة هيبوكلوريت الصوديوم بطورها الجاف، أو ما يعرف بالكلور البودرة، كبديلٍ عن الكلور السائل المستخدم في تعقيم المياه. وذلك بعد توقف منظمة الهلال الأحمر العربيّ السوريّ عن تزويد محطّات دير الزور بهذه المادة، كما نشرت "عين المدينة" في عددٍ سابق، وبالتزامن مع تطبيق قرارات داعش القاضية بمنع منظمات الخدمة الإنسانية عن العمل في دير الزور، بما فيها المنظمات العاملة في حقل مياه الشرب.

وجاء لجوء عمال المياه إلى استخدام الكلور الجافّ بعد نفاد كميات الكلور السائل المخزّنة. ويؤكد فنيون من كوادر المحطات أن المتوافر -من كمياتٍ مخزّنة سابقاً- بين أيديهم من المادة الجافة لن يكفي إلا لأسبوعين إلى ثلاثة أسابيع، مما يهدّد بتوقف محطات تصفية المياه عن العمل. ويرفض مسؤولو داعش في ديوان الخدمات توضيح نواياهم أو إجراءاتهم المحتملة لحلّ هذه المشكلة، فيما لا تزال بعض المنظمات الإنسانية تبدي رغبتها في المساعدة بتأمين الكميات المطلوبة لتعقيم المياه من مادة الكلور بطوريها السائل والجاف.

وبحسب تقريرٍ فنيٍّ خاصٍّ نشرته "عين المدينة" (العدد 42) يبلغ عدد محطات تصفية المياه في المناطق الخارجة عن سيطرة النظام بدير الزور 100 محطّة، تستهلك 80 ألف ليتر كلورٍ سائلٍ في الحدّ الأدنى كلّ شهر. وهي كميةٌ تناظر في فعاليتها في تعقيم المياه 400 كغ من المادة الجافة، لمواصفات مياه نهر الفرات بمعدّلات تلوّثها الخاصّة بمقاطع مجرى النهر في المحافظة، بحسب لوائح التوصيات المهنية السابقة -قبل الثورة- لمؤسّسة مياه الشرب. إذ تُخلط كمياتٌ من المادة الجافة بمقادير من المياه، ليُصار إلى استخدام المحلول الناتج في تعقيم المياه المعالجة في المحطة. ويشير فنيو مياهٍ إلى أن 1 ليتر من المحلول الناتج يمكن له، مع مهارات خلطٍ عالية، أن يعقّم 160 متراً مكعباً/ ساعة، كغزارةٍ ناتجةٍ من المحطّة إلى شبكة التغذية.

ولا تتوافر مادة هيبوكلوريت الصوديوم بطورها الجاف -والسائل أيضاً- في الأسواق السورية، سواءً منها الخاضعة لسيطرة النظام أو لسيطرة الثوار أو لسيطرة داعش؛ إذ لم تكن مادةً تجاريةً متداولةً في الأسواق إلا على نطاقٍ ضيّقٍ ولبعض الصناعات الكيميائية. لكن أحد الحلول العملية المقترحة اليوم يتمثل في إتاحة الفرصة للتجار المحليين لتأمين هذه المادة من الأسواق التركية أو العراقية في حال توافرها هناك، وفي حال واصل تنظيم داعش لامبالاته تجاه هذه المسألة بالغة الأهمية والخطورة على الصحّة العامة. فمن زاوية نظرٍ أوسع تعدّ هذه القضية امتحاناً صغيراً لإمكانات داعش في الجزء الخدميّ من كيانها. وسيشير عجزها المحتمل عن تأمين كمياتٍ كافيةٍ ومنتظمةٍ من مادة الكلور إلى مدى قدرة الكيان على تلبية احتياجات السكان في المناطق الخاضعة لسيطرته.

محطة مياه الشميطية في ريف دير الزور

داعش
تسجّل سيّارات الرقّة

محمد كامل

خلال الأسابيع الأخيرة، بدأ تنظيم "الدولة الإسلامية" داعش بإصدار لوحاتٍ مروريةٍ للسيّارات والدرّاجات النارية التي لا تحمل لوحاتٍ مروريةً في محافظة الرقة، بالتزامن مع تسجيل كلّ سيارةٍ في سجلات شرطة المرور التابعة للشرطة الإسلامية، ومنح مالكها دفتراً خاصّاً يحدّد نوع ورقم الآلية.

وكانت داعش قد عملت على إحصاء عدد وأنواع السيّارات والدرّاجات النارية في المحافظة خلال الفترة الماضية، بحسب ما يقول مقرّبون من التنظيم، فيما أوعزت للسائقين بضرورة الحصول على رخص قيادةٍ صادرةٍ عنها. وتُخضع داعش السائقين غير الحائزين على رخص قيادةٍ سابقةٍ لاختبارٍ خاصٍّ قبل منحهم رخصة القيادة، في محاولةٍ لتنظيم حركة المرور وإظهار القدرة على فرض النظام، بالاستفادة من خبرات موظفي شرطة المرور السابقين في المحافظة.

وبحسب تقديراتٍ تقريبية، تجاوز عدد السيّارات العاملة في الرقة 10 آلاف، ربعها على الأقلّ دخل عبر الحدود مع تركيا بعد خروج المحافظة عن سيطرة النظام في ربيع العام 2013. وتتقاضى داعش 800 ل.س كرسوم منح لوحةٍ مروريةٍ ودفتر تسجيلٍ لكلّ آلية، بالإضافة إلى 200 ل.س مقابل كلّ رخصة قيادة. مما يدخل لخزائن التنظيم مبالغ، قد تصل إلى 10 ملايين ليرةٍ سورية، من عملية تسجيل السيارات في محافظة الرقة.

ويُقدّر عدد أفراد شرطة المرور في شوارع المدن الرئيسية في محافظة الرقة بـ40، معظمهم من المتعاقدين مع التنظيم من غير المبايعين له، مقابل راتب 30 ألف ليرةٍ شهرياً.

داعش تبيع قمح دير الزور في العراق

مالك موسى

يومياً، تجتاز عشرات الشاحنات المحمّلة بالقمح معبر البوكمال الحدوديّ في طريقها إلى العراق، إذ يعمل تنظيم "الدولة الإسلامية"، على شحن كمياتٍ من الحبوب من المخازن والمستودعات التي سيطر عليها في محافظة دير الزور إلى الأراضي العراقية الخاضعة لسيطرته، ليقوم ببيعها هناك.

وتتروح أسعار القمح في دير الزور ما بين 280 إلى 300 دولار أمريكيٍّ للطنّ الواحد، فيما يتخطى في الأسواق العراقية الـ750 دولاراً. وبالنظر إلى فارق الأسعار الكبير هذا، يضاعف التنظيم أرباحه بنقل وبيع هذه الكميات في الجانب العراقيّ، بالمقارنة مع بيعها وتسويقها في الأجزاء السورية الخاضعة لسيطرته. ويقدّر تجار حبوب سوريون الكميات المنقولة إلى العراق بأكثر من 200 طنٍّ في اليوم، مما يحقّق وارداتٍ لا تقلّ عن 150 ألف دولار تدخل إلى خزينة التنظيم بشكلٍ يوميٍّ.

تقدّر مخزونات القمح التي تسيطر عليها داعش في دير الزور بأكثر من 50 ألف طنّ، بحسب تقرير سابق أن نشرته "عين المدينة"، مما يطرح التساؤل حول القدرة على الحفاظ على هذه المخزونات، بالنظر إلى معدّلات الاستجرار اليومية في كلٍّ من سوريا والعراق، مما يمهّد لحدوث قفزاتٍ إضافيةٍ في أسعار القمح والطحين والخبز في دير الزور. بعد أن قام التنظيم مؤخراً برفع أسعار الطحين والخبز فيها بنسبة 25%، ليصل سعر الربطة إلى 125 ليرةً سوريةً بعد أن كان 100 ليرة.

يأمل البعض في قدرة موسم الحبوب القادم صيف هذا العام على المساهمة في تخفيض هذه الأسعار وتأمين مخزوناتٍ كافيةٍ للمحافظة في العام القادم. لكن يصعب التنبؤ بهذه الاحتمالات، خاصّةً في ظلّ قلة المعلومات حول نوايا التنظيم التدخّل في عملية بيع الفلاحين لإنتاجهم من الحبوب.

عندما تستولي داعش على منازل المدنيين في دير الزور

امرأةٌ مطرودةٌ من منزلها: نسوةٌ مسلحاتٌ من داعش رمَينَ ملابسنا في الشارع.

صالح داوود

في معظم المدن والبلدات الخاضعة لسيطرة تنظيم داعش، لا بدّ من مشاهدة جملة "ملاك الدولة الإسلامية" مطبوعةً على جدران بعض المنازل. وتعني هذه العبارة أن المنزل قد تمّ الاستيلاء عليه من قبل داعش، وتحوّل إلى أحد ممتلكاتها رغماً عن ملاّكه الحقيقيين. وتشمل قائمة الأشخاص الذين تمّ الاستيلاء على منازلهم مقاتلين من الجيش الحرّ ومن الفصائل الأخرى التي قاتلت التنظيم أثناء هجومه على محافظة دير الزور صيف العام الفائت، بالإضافة إلى ناشطين مدنيين وكلّ من له علاقةٌ بمؤسّسات المعارضة المختلفة، وغيرهم ممن يحكم عليهم التنظيم بالردّة.

السيدة (م) واحدةٌ من ضحايا داعش في ريف دير الزور الشرقيّ. أُخرجت عنوةً من منزلها، وهي تبحث اليوم عن مسكنٍ في مدينة الميادين. تقول: "بعد ما قالولي لازم تطلعين كتبوا على حايط بيتي (ملاك الدولة الإسلامية). ما طلعت، وين بدي أروح! بعد يومين جابو نسوان من داعش شايلات بوارید وطلّعوني غصب عنّي أنا وأولادي، ورموا غراضنا بالشارع". وتضيف (م) أن الأثاث، وحتى أواني المطبخ، اعتبرت ملكاً لداعش، وسمحوا لها بأخذ الملابس فقط. وحدث كلّ ذلك لأن زوج (م) كان مقاتلاً في إحدى كتائب الجيش الحرّ التي تصدّت لداعش في المنطقة، واضطرّ، مع غيره ممن قاتلوها، إلى الخروج من المحافظة.

ويعدّ الاستيلاء على منازل "المرتدّين" قانوناً نافذاً من قوانين داعش قد يطال، في مرّاتٍ كثيرةٍ، المنازل المغلقة التي سافر ملاكها قبل الثورة، أو نزحوا إلى محافظاتٍ أخرى أو إلى خارج البلاد، وتحت أعذارٍ مختلفةٍ يسوقها عناصر التنظيم. فقد سُجّلت حالات استيلاءٍ على منازل في مدن الميادين والبوكمال وغيرها بحجّة أن أصحاب تلك المنازل لا يحوزون سنداتٍ تمليكٍ أو وثائق تثبت ملكيتهم لها.

لا توجد إحصاءاتٌ عن عدد المنازل والعقارات المختلفة التي استولت عليها داعش في دير الزور، ولكن الأعداد كبيرةٌ حتماً بحسب ما يقول أحد المقرّبين من التنظيم، والذي يرى أن تأمين مسكنٍ لعائلة مهاجرٍ هو أمرٌ واجبٌ مهما كانت الوسيلة، لأن "المهاجر اللي يبيع الدنيا تا يدافع عنا لازم نأمّن له سكن بأي شكل"!

وبهذا، لا يأتي الاستيلاء على الممتلكات كمجرّد عقوبةٍ تفرضها داعش على خصومها، بل الغرض منه تلبية الحاجة إلى إسكان عوائل مقاتليها من "مهاجرين" و"أنصار"، أو تحويل المنازل المصادرة إلى مقرٍّ، أو مستودع ذخيرة، أو سجنٍ من سجون داعش الكثيرة.

وتثير قصص الاستيلاء على المنازل تعاطفاً كبيراً لدى السكان الذين يحاولون مساعدة المطرودين من منازلهم بأيّة طريقة. وقد نجحت حالاتٌ قليلةٌ، بعد وساطاتٍ، في إيصال شكواها إلى من يسمّى بوالي ولاية الخير/ دير الزور.

انتهاء مهلة "استتابة" معلّمي الرقة لدى داعش ومدير التربية أوّل التائبين

شذى العيسى

شارفت مهلة "الاستتابة" التي منحتها داعش لمعلمي محافظة الرقة على الانتهاء. إذ حدّد القرار، الصادر في بداية آذار الجاري،عن ما يسمّى بـ"ديوان التعليم"، مدّة أسبوعين لـ"تائبين"، تبدأ من تاريخ الإعلان.

ووسّعت داعش، في قرارها هذا، دائرة المطالَبين بالاستتابة لتشمل كلّ من عمل في مديرية التربية، وبأيّة صفة واختصاص وظيفيٍّ، بمن فيهم الحرّاس والمستخدَمين. فيما هدّد القرار كلّ من يتخلّف عن "التوبة" باعتباره مرتدّاً عن الإسلام وتطبيق ما تستوجبه الردّة من عقوباتٍ بحقّه، وفق أحكام داعش وقوانينها.

وأذاعت مساجد الرقة، عبر خطباء الجمعة، إعلان استتابة المعلمين. ونبّه الخطباء إلى ضرورة أن يستجيب المعنيّون بهذا القرار بالتوبة في أماكن محدّدةٍ في كلّ "قاطع" من القواطع التي تؤلف "ولاية الرقة". وسيخضع التائبون لدوراتٍ شرعيةٍ تقيمها داعش لمن عملوا في منظومة تعليم "الحكومة النصيرية الكافرة"، بحسب تعبير البيان.

ولقي القرار تجاوباً كبيراً من معلمي الرقة، وخاصةً لدى من يعجز منهم عن مغادرة المناطق الخاضعة لسيطرة التنظيم، الذي يؤكّد مقرّبون منه أن شحادة المحمّد، مدير التربية في المحافظة، وغيره من مسؤولي المديرية، كانوا أوّل "التائبين"، إضافةً إلى مئات المعلمين والمدرّسين والموظفين فيها. وتتضارب الإشاعات في الأوساط التربوية عن موقف نظام الأسد، ممثلاً بوزارة التربية، من "توبة المعلمين"؛ إذ يرى البعض أن الوزارة ستغضّ الطرف عن هذا السلوك الإجباريّ، في الوقت الذي أكد فيه آخرون أنّ إجراءات الفصل وقطع الرواتب قد طالت وستطال كلّ من يقترب من ديوان داعش التعليميّ، حتى لو كان ذلك بدافع الاضطرار والحرص على الدماء والممتلكات التي ستهدرها عقوبات التنظيم في حال التخلف عن "الاستتابة".

ويُلحظ في قرار داعش الأخير إلزام كلّ "تائب" باصطحاب كفيلٍ له من عناصر التنظيم أو من "عامّة المسلمين" بحسب لغة الإعلان، مما يحدّ من قدرة "التائبين" على التراجع عن تعهداتهم بعدم التعامل مع أيّ منهاج تعليميٍّ آخر سوى منهاج "الدولة الإسلامية"، في أيّ مكانٍ يقيمون فيه.

ويقول معلمون اضطرّوا إلى "مسايرة" داعش إن ديوان التعليم قد خيّرهم بين العمل في مدارس التنظيم مستقبلاً أو في أية مدارس أخرى، لكن بشرط أن لا يتعاملوا، وبأيّ شكلٍ وتحت أيّ ظرفٍ، مع منهاج آخر، حتى لو كان هذا التعامل بصورةً درسٍ لمرّةٍ واحدةٍ أو أقلّ من ذلك. يقول (ب)، وهو معلم ابتدائي: "حتى لو نزحت على تركيا ما راح أقرّب على ورقة أو قلم، لأنه هالشي ممكن يعتبرونه ردّة ونقض للتوبة. وبيتي وكلّ شي عندي بالرقة راح تصادروا الدولة". وتفكّر مدرّسة اللغة العربية (م) بالنزوح إلى مكانٍ بعيدٍ عن داعش و"هبالها ورعبها"، إذ لم تعد تستطيع أن تتحمّل "الجهل والهمجية والإجرام بداعش". فليس من المعقول أن "يجرجر" مدرّسٌ متقاعدٌ في السبعينات من العمر "للتوبة والتبرؤ من مهنة يحبّها واشتغل بيها كلّ حياته". ومن غير المعقول أيضاً "أنه آذنة مدرسة كانت تعمل قهوة وشاي تتوب! عن إيش بدها تتوب هاي؟".

تشغّل داعش اليوم 24 مدرسةً فقط، نصفها للذكور والنصف الآخر للإناث، من أصل 1374 مدرسةً قبل الثورة في محافظة الرقة. ويعتمد التنظيم، كما هو معلومٌ، منهاجه التعليميّ الخاصّ في هذه المدارس الموزّعة بحسب "القواطع" المؤلفة لما يسمّى بولاية الرقة. ويعرض "ديوان التعليم" على جميع المعلمين المتصاعين لقراراته طلبات توظيفٍ مع وعودٍ شفويةٍ بتأمين فرص عملٍ ورواتب شهريةٍ ابتداءً من الشهر الخامس من هذا العام، وهو التاريخ الذي سيشهد توسعاً كبيراً في قطاع داعش التعليميّ، بحسب ما يؤكد مقرّبون من التنظيم. فيما يشكّك مطلعون على نشاطات داعش في حصول هذا التوسّع، ويؤكّدون تخبّط التنظيم وغياب أية خطةٍ حقيقيةٍ لعملية التعليم لديه، وعدم قدرته على ملء الفراغ الذي حدث في المناهج التعليمية بعد أن حذف مرحلة التعليم الثانويّ برمّتها، وموادّ دراسيةٍ كاملةٍ أخرى، من مناهجه.

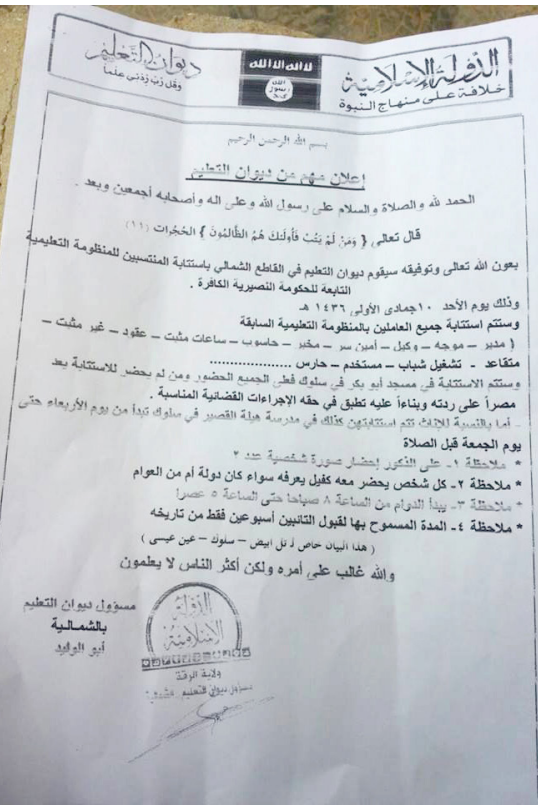

من إعلانات داعش الخاصّة باستتابة المعلمين

كيف انهارت أسوق الذهب في ظل داعش

ثائر العبد

أودت مجموعةٌ من العوامل بأسواق الذهب في مناطق سيطرة التنظيم إلى الهاوية، تارةً بانتقال القسم الأكبر من هذه السوق إلى البلدان أو المدن المجاورة، وتارةً بإفلاس وإغلاق ما بقي من محلاتها. فيما عزف الناس عن اقتناء الذهب، إما بسبب أوضاعهم المادية، أو لعدم الثقة بالذهب الموجود في أسواق داعش.

في الفترة التي سبقت سيطرة تنظيم الدولة على المناطق المحرّرة شرق سوريا، مرّت الأسواق التجارية لمدن الرقة والطبقة والميادين والبوكمال بمرحلة نشاطٍ غير مسبوقة، حين نشأ ما يمكن تسميته بالاقتصاد الحرّ ولو في شكله البدائيّ. وأسهمت الطفرة السكانية التي أحدثها توافد النازحين إلى تلك المدن والمراكز في انتعاش أسواقها التجارية. يضاف إلى ذلك ظهور طبقةٍ من الميسورين الذين اغتنى جلّهم من تجارة النفط التي شاعت ذلك الوقت، والتي ضخّت الكثير من المال في جيوب المستفيدين منها، لينفقوها بدورهم في الأسواق المحلية. وكان من أهمّ الأسواق التي استفادت من هذا النشاط سوق الذهب، الذي تضاعف عدد رواده، من باعةٍ ومشترين، بحكم انخفاض قيمة الليرة وهيمنة ما يعرف بـ"قانون الذهب"، الذي يدفع الناس إلى شراء المعدن الثمين، بوصفه الملاذ الاقتصاديّ الأكثر أمناً في ثقافة السوريين. لكن، ومع سيطرة داعش على هذه المناطق، أخذت الأمور تتغيّر بشكلٍ متسارع.

ويمكن تقسيم العوامل التي أسهمت في تدهور سوق الذهب تحت الحكم الداعشيّ إلى عاملين أساسيين:

إجراءات داعش المالية

أدّت سيطرة التنظيم على آبار النفط إلى تحويل المداخيل الضخمة لهذه "التجارة" من جيوب من كان مستفيداً منها إلى خزينة التنظيم الذي صار يستخدمها كوقودٍ لحروبه التي لا تنتهي في سوريا والعراق، مما أخرج هذه الكتلة المالية من دائرة إنعاش الحركة التجارية لأسواق المناطق المحرّرة، وعلى رأسها سوق الذهب.

حتى الآن، لا يُعرف مصير محاولة داعش الارتجالية لسكّ عملتها الذهبية، ولكن افتقار التنظيم إلى رؤية وكوادر بناء اقتصادٍ متماسكٍ أدّى إلى جعله يتعامل مع سوق الذهب بطريقةٍ عامة، مثلها مثل باقي الأسواق المهملة أصلاً، في حين أن هذه السوق المهمة تحتاج إلى جهازٍ إداريٍّ مهنيٍّ قادرٍ على مراقبة الأسعار ودقة العيارات وحجم التداول والتنبؤ بالمخاطر حتى يضمن استقرارها، وليشعر من يريد اقتناء هذا المعدن الغالي بالطمأنينة. أما والحال هذه فمن الطبيعيّ أن يخسر الذهب جزءاً ليس بالقليل ممن كانوا يفضلون اقتناءه، لصالح شراء العملات الصعبة وعلى رأسها الدولار الأمريكيّ. مع العلم أنه لم تسجّل أية حادثة غشٍّ في معايير الذهب في المناطق المذكورة حتى الآن.

ولجأ بعض متنفذي التنظيم إلى استغلال الكثير من الأغنياء، فيما تمّ الاستيلاء على قصورٍ وفللٍ لبعضهم الآخر. وبالتالي حصل التنظيم، أو بعض رجالاته، على كمياتٍ كبيرةٍ من الأموال والذهب. ولا يُعرف إذا كان قد تمّ نقلها إلى خارج البلد لبيعها أو ما زال من حازها يحتفظ بها.

في محل مصوغات ذهبية في الرقة – من إصدارات داعش

التصادم مع المجتمع

جاء فرض تنظيم الدولة الإسلامية لقوانينه وفتاواه ليجعل الناس، وخاصةً طبقة التجار منهم، تشعر بالقلق والريبة من غرابة أحكام فضّ النزاعات المالية التي تعتمدها داعش على وجه الخصوص. ليؤدي ذلك إلى نزوح القسم الأعظم منهم، مع ما يملكونه من ذهبٍ ونقودٍ، إلى الدول المجاورة، فيما فضّل بعضهم الآخر النزوح إلى مناطق سيطرة النظام.

كما أدّى تردّي الأوضاع المادية بشكلٍ حادٍّ، مع تضييق التنظيم المستمرّ على الحرّيات الفردية حتى في أبسط أشكالها، كحلاقة الذقن وشكل اللباس، إلى موجات نزوحٍ بأعدادٍ مهولة. وغنيٌّ عن القول إن فئة الشّباب كانت أول النازحين، لتتوقف حالات الزواج وما يصاحبها من عاداتٍ بشكلٍ شبه كليٍّ، وليفقد سوق الذهب شريحةً من أهم زبائنه الذين لا يمكن التقليل من مدى اعتماد محلات الصاغة عليهم.

جولةٌ في مخيّمات الداخل

فراس العمري

شام العز، المجد، النصر، شام الجهاد، الكرامة، الإباء؛ لم تكن هذه الأسماء الرصينة، التي أطلقت على مخيمات النازحين في ريف إدلب، كفيلةً بالتصدّي لمعاناة ساكنيها. إذ لا تزال الكثير من المنظمات الإغاثية عاجزةً عن تلبية المتطلبات الأساسية لتلك المخيمات، رغم تقديمها لما تيسّر ممّا يجود به المانحون وبرنامج الغذاء العالميّ WFP.

إذ يحيط بقرية أطمة الحدودية وحدها ما يزيد عن 15 مخيماً، يضمّ الواحد منها ما لا يقلّ عن 3000 نازح، فيما قد يصل تعداد قاطني بعض هذه المخيمات إلى أكثر من 15 ألفاً.

تجارة المواد الإغاثية

نتيجة نقص الاحتياجات المعيشية؛ استطاع أهالي المخيّمات إيجاد طريقة لتعويض ما يلزمهم من الموادّ التي لا تستطيع المنظمات الإغاثية تقديمها. فأبو أحمد من كفرزيتا، أحد ساكني مخيم الكرامة بأطمة شمال إدلب، يبيع ما يزيد على حاجته من المواد التي توزّع عليهم، كالبطانيات أو بعض الحصص الغذائية، في أسواق شعبية توجد في الريفين الشماليّ لإدلب والشماليّ الغربيّ لحلب، تسمّى البازارات. إذ يقام بازار سرمدا يوم السبت، وفي يوم الأحد يتوجه الناس إلى بازار الأتارب، أما يوم الاثنين فيقصد أبو أحمد بازار الدانا ليبيع مواد الإغاثة ويشتري بثمنها الخضار والوقود بشكلٍ رئيسيّ.

ويبدي حازم، وهو أحد أصحاب بسطات هذه المواد، ارتياحه لإقبال الناس على بضاعته، معللاً ذلك بفارق أسعار المواد التي يبيعها وبين ما هو متوافرٌ في الأسواق؛ فليتر الزيت لديه بـ 235 ليرةً، بينما يصل سعره إلى 330 ليرةً في المحلات "العادية"، ويبيع حازم كيلو الرز بـ90 ليرةً، في حين أنه سعره 150 ليرةً في السوق. ولم يعد بيع المواد الإغاثية يقتصر على المفرّق، بل تعدّاه إلى بيعها بالجملة لتجّار قادمين من مناطق بعيدة أخرى. فأبو محمد، أحد تجار المواد الإغاثية في الدانا، يخزّن بضاعته في مستودعاتٍ كان يستعملها سابقاً لتخزين الأعلاف، ولديه في كلّ مخيم من يتسوّق له الموادّ من الأهالي، ليبيعها بالجملة للتجّار الوافدين من دير الزور والرقة وحماة. ففي محافظتي دير الزور والرقة ازداد الطلب على هذه البضائع بعد سوء الأحوال الاقتصادية، كما أسهم منع تنظيم الدولة للجمعيات الإغاثية من العمل في أن تلقى هذه البضائع رواجاً واسعاً.

وهكذا، نمت تجارةٌ جديدةٌ في هذه البازارات، تعتمد على مواد الإغاثة غالباً، يقوم بها تجارٌ يشترون بضائعهم من النازحين ويخزّنونها في مستودعاتٍ في قريتي سرمدا والدانا، ليبيعوها إلى باعة البسطات الذين تتنقل بضائعهم على مدار الأسبوع بين البازارات. ويشكل نازحو ريف إدلب غالبية زبائن البسطات. كما دفع ازدهار هذه التجارة بعض أصحاب المستودعات إلى إنشاء ورشاتٍ خاصّةٍ لإعادة تغليف مواد الإغاثة، ووضع أسماءٍ تجاريةٍ جديدةٍ عليها، لبيعها لمنظمات الإغاثة مرّةً أخرى، أو إعادة طرحها في الأسواق.

من حكايا المخيّم

لدى تجوّلنا في سوق أحد المخيمات قرب بلدة أطمة؛ مدّ أبو ماهر، العجوز الستينيّ، عكازه من أمامه واقترب بخطواته المثقلة منّا متسائلاً إن كنّا من دير الزور، بعد أن لفتت لهجتنا انتباهه. ثم أردف مستفهماً عن موعد عودتنا إلى الدير، وإن كان بمقدورنا اصطحابه ليزور ابنته الوحيدة التي لم يرها منذ أربع سنواتٍ لأنها تقيم وزوجها في إحدى قرى الريف الشرقيّ لدير الزور. ليس الطريق وحده ما يثير قلق أبو ماهر، ولكن أيضاً ما يصل إلى مسامعه من أخبارٍ عن تنظيم الدولة وممارساته، ما جعله ينتظر بعض القادمين من أهالي المنطقة الشرقية ليرافقهم في رحلتهم.

دعانا إلى خيمته بعد أنّ وعدناه بالمساعدة. في الخيمة الصغيرة يرقد العجوز بعد نوبة الربو التي ألزمته الفراش. كانت كلماته تخرج بصعوبةٍ من خلف الكمّامة الموصولة على أسطوانة الأوكسجين: "خرجنا من اللطامنة منذ أربعة أشهر، بعد قصف منزلنا واستشهاد زوجتي. ومنذ ذلك الحين ونحن في المخيّم. أتجوّل في السوق علّي ألقى أحداً من تجار المنطقة الشرقية ليوصلني إلى ابنتي، لكنّي لم أحصد سوى الوعود...".

عرقل المرض رحلة أبو ماهر. وبعد أن تعافى، حالَ تقدّم جيش النظام والميليشيات الإيرانية في ريف حلب الشماليّ دون إكمال رحلته، إلا أنه يصرّ على السفر بعد فتح الطريق...

مخيم أطمة - عدسة Richard Harvey

مركز «لنرتقي معاً» في مارع لتطوير قدرات النساء

ميلاد بهنو

رغم استمرار غارات النظام الأسديّ على قرى ومدن ريف حلب الشماليّ المحرّرة، وما يعاني منه سكان تلك المناطق من ظروفٍ معيشيةٍ وإنسانيةٍ صعبة؛ تشكّل مبادرات العمل المدنيّ نموذجاً لقدرة المجتمع المحليّ على إدارة شؤونه والتغلب على المصاعب التي تواجهه.

فمع بداية العام الحاليّ، وبإشراف لجنة تمكين مارع؛ افتتحت اللجنة النسائية في المدينة مركزاً لتطوير الخبرات المهنية والتعليمية لنساء المنطقة، يعدّ الأوّل الذي يعنى بتفعيل دور المرأة، من خلال دورات التدريب والتأهيل المهنيّ والعلميّ، في مناطق ريف حلب الشماليّ.

أهداف المركز

تشرف على الدورات التعليمية ستّ مدرّباتٍ متخصّصاتٍ، تمّ التعاقد معهنّ لتدريب ما يزيد عن مئة فتاةٍ وسيدةٍ. ويقوم المركز بتنظيم دوراتٍ في عدّة مجالات، كمحو الأميّة والتمريض والخياطة والتفصيل. أمّا الهدف فهو إنعاش الدخل المحلّي وإيجاد موردٍ اقتصاديٍّ للنساء اللواتي فقدن معيلهنّ، بحسب ما أفادت السيدة فاطمة أم حسّان، مديرة المركز، التي تضيف: "نقوم بتدريب وتأهيل نساءٍ من مختلف الشرائح الاجتماعية في المنطقة. لدينا في المركز ثلاث فئاتٍ من النساء؛ الأولى هي فئة غير المتعلمات، إذ نقوم بإخضاعهنّ لدوراتٍ لمحو الأميّة. أمّا الفئة الثانية فهنّ النساء المهنيّات، ومنهنّ من يتقنّ بعض المهن كهاوياتٍ، كاللواتي يبرعن في مجال الخياطة والتفصيل والتطريز والرشّ اليدويّ والآليّ والتصويف. والفئة الثالثة هي من المتعلمات اللواتي يتمّ تدريبهنّ للعمل في مجال التمريض عبر دوراتٍ متخصّصة تتضمّن تقديم الإسعافات الأوليّة والعناية بالجرحى والمرضى. وتقوم المشرفات على هذه الفئة بإعداد استبياناتٍ لمعرفة مدى الحاجة، في الوضع الراهن، إلى العمل في القطاع الطبيّ، كمساعدةٍ للكوادر الطبيّة، نظراً للنقص الكبير الذي تعاني منه المشافي والمراكز الطبية فيما يخصّ التمريض، إن كان في مدينة مارع أو في المناطق الأخرى".

وعن إمكانيّة ترويج الأعمال اليدويّة التي تقوم المتدرّبات بصنعها أجابت أم حسّان: "سنقوم بترويج المنتوجات اليدويّة عبر معرضٍ يجمع ما قمنا بإنجازه حتى الآن. وسيتمّ تحويل المردود لصالح الأيتام. فعملنا تطوّعيٌّ، ومعظم النساء اللواتي انتسبن إلى دورات المركز هنّ من أرامل الشهداء وزوجات المعتقلين".

مشاريع مستقبلية وصدى إيجابيّ

رغم حداثة التجربة، إلا أنها لقيت الكثير من الاهتمام في المدينة وفي مناطق ريف حلب الشماليّ، مما دفع القائمين على المشروع إلى التفكير في توسيع عمله. وعن هذا تقول السيدة أم حسان: "هناك مشاريعٌ جديدةٌ نسعى إلى تنفيذها، سيكون أوّلها افتتاح مشغلٍ للخياطة. كما سيتمّ إطلاق دوراتٍ تعليميةٍ للغتين الإنكليزيّة والتركيّة، ودوراتٍ في المعلوماتيّة، بالإضافة إلى التطريز وتصفيف الشعر". وتقول إحدى المشرفات على المركز: "نحاول أن نقيم مجمّعاً تربويّاً ومهنيّاً وصحيّاً يجمع أكبر عددٍ من المتدرّبات، فالحاجة إلى ذلك كبيرةٌ جداً لدى نساء المنطقة".

ويرى عبد الجليل، وهو أحد أبناء ريف حلب الشماليّ، في هذا المشروع نقلةً إيجابيّةً، فيقول: "تحتاج سوريا إلى البناء وإلى مشاركة المرأة للرجل في تحمّل الأعباء. ويمثل هذا المشروع، وأمثاله، خطوةً أساسيّةً في نهوض المجتمع السوريّ إلى مستوى الثورة. وأعتقد أنّ إنشاء هكذا مشاريع مهنيةٍ أفضل من السلال الغذائيّة التي لا تُكفي إلا لبضعة أيّام، لأن هذا المشروع يعلّم المتدربة الاعتماد على نفسها من خلال إتقان مهنةٍ تصبح بمثابة سلاحٍ لها تستطيع به مواجهة الظروف الصعبة التي تعترض طريقنا كسوريين".

يضاف مشروع "لنرتقي معاً" إلى مشاريع أخرى سبق أن أسهمت في تأسيسها لجنة تمكين مارع المنبثقة من المجلس المحلّي، والتي قامت بإنجاز العديد من المشاريع المدنية والتأهيلية في المدينة، كافتتاح عيادةٍ عينيةٍ، وشراء معدّاتٍ للدفاع المدنيّ، وحفر آبارٍ لتغطية الحاجة المائية. وما زال العمل جارياً على إعادة تأهيل مشفى التوليد.

وتجدر الإشارة إلى أنّ معظم هذه المشاريع قد تمّ بعد توزيع اللجنة لاستبياناتٍ على السكان يحدّدون فيها بأنفسهم أبرز احتياجاتهم الخدمية، لتقوم اللجنة بطلب الدعم لها والإشراف على تنفيذها لاحقاً.

من داخل المركز

ما الذي يريده الكرد في سوريا؟

بكر صدقي

لا نبالغ إذا قلنا إن أحد أهمّ أسباب تأخر انتصار الثورة على النظام الكيماويّ في دمشق إنما هو فقدان الإحساس المتبادل، ومتعدّد المستويات، بين المكوّنات الوطنية بحساسياتها وهواجسها وتطلعاتها المتباينة.

فعلى رغم شعار "الشعب السوري واحد" الذي هتف به المتظاهرون من حوران إلى القامشلي، ومن جبلة إلى حلب إلى دمشق، نجح النظام في استثمار ما زرعه مؤسّسه، حافظ الأسد، طوال ثلاثة عقودٍ من حكمه، من أسباب انعدام الثقة بين مكوّنات التنوع الإثنيّ والدينيّ والمذهبيّ والعشائريّ والجهويّ، فكانت الثورة كحجرةٍ ألقيت في بحيرةٍ راكدة، لترتدّ قطرات ماءٍ تقافزت وتبعثرت في اتجاهاتٍ عشوائية. ولم تتخذ شكل شلالٍ كبيرٍ متدفقٍ معاً في اتجاهٍ واحد.

بكلماتٍ أخرى: اكتشفنا أن الشعب السوريّ ليس واحداً، بل شعوباً أو "أحزاباً" غير متفقةٍ على الحدّ الأدنى من المشتركات الوطنية. ليست غاية هذا المقال محاسبة المكوّنات الوطنية على مواقفها من الثورة، بل محاولة فهم دوافعها وهواجسها وتطلعاتها. ذلك أن محاسبة الجماعات تنطوي على مخاطر كبيرةٍ على مصير الوطن، مقابل المحاسبة الضرورية للأفراد على أفعالهم، وهذا ميدانه القضاء. وفهم دوافع الجماعات مدخلٌ ضروريٌّ لتفهّمها وأخذها بنظر الاعتبار في إعادة بناء الهوية الوطنية التي كانت أحد رهانات الثورة أو رهانها الأهم، أعني الانتقال من "سوريا الأسد" إلى سوريا الجماعة الوطنية السورية.

بالنظر إلى محدودية المساحة الجغرافية التي يعيش عليها كرد سوريا وتبعثرها في جيوب غير متصلة، لم تكن فكرة الاستقلال عن سوريا واردةً لديهم إلا كحلم بعيد المنال، مرتبطٍ من جهةٍ أولى بتحققه في كلٍّ من تركيا والعراق أولاً، وبإرادةٍ دوليةٍ غائبةٍ منذ سايكس بيكو ثانياً. لذلك تشكلت الأحزاب السياسية الكردية في سوريا، منذ أواخر الخمسينات، كامتدادٍ للحركة القومية الكردية في تركيا والعراق، وظلت متسقةً في خطها السياسي معها. ولم تتجاوز في مطالبها رفع المظالم من استعادة الجنسية لمن حرموا منها بموجب الإحصاء الاستثنائيّ للعام 1961، والاعتراف بالحقوق الثقافية وعلى رأسها الحقّ في التعلم باللغة الأم.

كان من شأن تحقيق هذه المطالب المحقة أن تزيد من متانة الهوية الوطنية السورية التي شارك الكرد أصلاً في قيامها، إبان الثورة السورية، برمزهم الوطنيّ إبراهيم هنانو، أحد أبطال تلك الثورة. ليس فقط أن تلك المطالب قوبلت بالنكران، بل تم إنكار وجود الكرد كجماعة إثنية-ثقافية متمايزة، في إطار الإيديولوجيا القومية العربية التي كانت سائدة في تلك الفترة. وكان "الكرديّ الجيد" لدى الرأي العام السوريّ هو الكرديّ الذي فقد لسانه واندمج في الجماعة العربية ثقافةً واجتماعاً، كما هي حال كرد دمشق وحماة وجبل الأكراد في ريف اللاذقية. للمفارقة أن هذا القسم من كرد سوريا "الأصليين"، الذين ينحدر منهم رؤساء للجمهورية كحسني الزعيم وأديب الشيشكلي، وبعض أركان نظام الأسد كمحمد سعيد رمضان البوطي والمفتي الراحل محمد كفتارو ومحمود الأيوبي، يُنظَر إليهم، من وجهة نظر القوميين الكرد، باعتبارهم منقوصي الكردية أو مشكوكاً في كرديتهم. بالمقابل كان الكرد، بوصفهم جماعةً واعيةً بتمايزها، مشكوكاً في وطنيتهم في نظر الرأي العام العربيّ المندرج في الإيديولوجيا القومية العربية.

سوريا ذات الوطنية الهشة أصلاً، وتدهورت هذه أكثر بالمطابقة بين الوطنية والولاء لنظام الأسد (عبّر عنها بـ"سورية الأسد")، تأثرت، بكلّ مكوناتها، بما يحدث في الجغرافيا المجاورة. فكان هناك تداخلٌ دائمٌ بين تموّجات الرأي العام في الداخل السوريّ والأحداث في البلدان المجاورة كالعراق ولبنان وتركيا وفلسطين. من ذلك، التفاعل المتباين مع ضرب نظام صدام لبلدة حلبجة الكردية بالسلاح الكيماويّ. ففي حين شكلت هذه الفاجعة، في الرأي العام الكرديّ، ما يشبه المحرقة اليهودية في الذاكرة الجمعية لليهود، قوبلت بعدم الاكتراث من قبل الرأي العام العربيّ في سوريا، مقابل استثمارها من قبل نظام الأسد في عدائه المديد مع شقيقه البعثيّ العراقيّ.

تكرّر ما يشبه ذلك في انتفاضة آذار 2004، التي ستشكل منعطفاً كبيراً في العلاقات الكردية-العربية في سوريا. الحدث الذي بدأ برفع مشجعي نادي الفتوة الديريّ صور صدام حسين في ملعب القامشلي وشتمهم الزعيمين الكرديين بارزاني وطالباني، ثم تطوّر إلى التنكيل بالجمهور الكرديّ لنادي الجهاد، تحوّل إلى انتفاضةٍ كرديةٍ عامةٍ امتدّت بسرعةٍ إلى حلب ودمشق ومختلف أماكن التواجد الكرديّ في سوريا. واجهها النظام بالحديد والنار، فقتل العشرات واعتقل مئاتٍ قتل بعضهم تحت التعذيب، وتم فصل عشرات الطلاب الكرد من الجامعات السورية.

ليس التعامل القمعيّ المألوف والمتوقع للنظام هو ما شكل الجرح الكبير بالنسبة للكرد، بل تعامل الرأي العام العربيّ، وبخاصّةٍ المعارضة السورية التي كانت للتوّ قد خرجت من السرية إلى العلنية

أو شبه العلنية في الفترة المعروفة باسم "ربيع دمشق". فقد اتهمت جهاتٌ معارضة الكردَ بـ"حرق مؤسسات الدولة" وبرفع العلم الكردستاني والنزعة الانفصالية، في حين قام وفدٌ من المعارضة بزيارة القامشلي واللقاء بالفعاليات السياسية الكردية، تعبيراً عن التضامن مع ضحايا القمع (وفقاً لرأي أعضاء الوفد)، ودعوةً "للتهدئة" (وفقاً لاتهامات نشطاء كردٍ للوفد المعارض).

الواقع أن توقعات الغاضبين الكرد من "المعارضة العربية"، في تلك الأيام الساخنة، لم تكن واقعيةً ولا محقة، بالنظر إلى ضعفها وعدم استعدادها لخوض معركةٍ مفتوحةٍ مع النظام، فضلاً عن انعدام المنطق في توريط تلك المعارضة من قبل انتفاضةٍ عفويةٍ اقتصرت على الكرد فقط، مع احتمالٍ قويٍّ لتحوّل الأمر إلى نزاعٍ أهليٍّ عربيٍّ-كرديٍّ لا يريده أحد.

ولكن بالمقابل لم يتمالك الكرد من مقارنة أداء المعارضة مع أداء النظام في جانبه السياسيّ. فعلى رغم القمع الشديد الذي واجه به النظام الانتفاضة الكردية، فقد "باعهم" سياسياً ما كانوا يتوقون إلى سماعه. أعني رفض رأس النظام، على شاشة الجزيرة القطرية، اتهام الكرد بالعمالة لجهاتٍ خارجيةٍ حرّضتهم على التحرك، واعتباره "الكرد جزءاً من التاريخ والنسيج الوطنيّ السوري". وتزامن ذلك مع وعودٍ أطلقها بصدد حلّ مشكلة المجرّدين من الجنسية. في الوقت الذي اجتهدت أقلامٌ معارضةٌ لإثبات أن كرد الجزيرة ليسوا سكاناً أصليين في سوريا، بل نزحوا من تركيا، في فتراتٍ مختلفة، هرباً من قمع الدولة التركية. بصرف النظر عن صحة هذا الادعاء، فهو يتجاوز أولاً واقع النشأة المتأخرة (والمصطنعة) للكيان السوريّ وما يعنيه ذلك من مرونة الحدود التي لا تقتصر على تلك الفاصلة بين سوريا وتركيا، بل تشمل كذلك الحدود مع لبنان والأردن والعراق التي تقسم عشائر متنقلةً وعائلاتٍ متوزّعةً على الجانبين.. والأهمّ من ذلك وأخطر أنه يبحث عن مبرّرات الإحصاء الاستثنائيّ الذي تسبب في مآسي كبيرةٍ لعشرات آلاف الكرد طوال نصف قرن. ومؤدّى ذلك مزيدٌ من التنافر الكرديّ-العربيّ، ومزيدٌ من تعميق الشعور بالمظلومية لدى الكرد، تضاف إلى مظلوميتهم الأصلية في افتقادهم إلى دولةٍ كباقي الشعوب التي انفصلت عن الإمبراطورية العثمانية.

كان لهذه "الرضة الأصلية" المتمثلة في تداعيات انتفاضة آذار 2004، مفعولٌ سلبيٌّ على موقف الكرد من الثورة السورية، تمكنت القوى السياسية الكردية من استثمارها لفرض رؤيتها المتمثلة في أن الصراع بين العرب أنفسهم، وعلى الكرد أن ينأوا بأنفسهم عنه ويقفوا على مسافةٍ واحدةٍ من طرفي الصراع إلى أن تنجلي نتائج المعركة. (ليس هناك نصٌّ مكتوبٌ لدى أيّ حزبٍ كرديٍّ بهذا الوضوح. هذا استنتاجي الخاصّ من سلوكها السياسي). ومع تطوّر الأحداث واتخاذها شكل حربٍ عنيفةٍ يشنها النظام ضد نقاط التظاهر السلميّ، تبلور موقف الحركة السياسية الكردية أكثر ليرى فيما يجري إضعافاً لسوريا ككل، نظاماً ومعارضة، بما يمنح الكرد فرصةً ذهبيةً لتحسين موقعهم التفاوضيّ في الإطار الوطنيّ السوريّ. واتجه "المجلس الوطني الكرديّ" إلى تطوير برنامجٍ يطالب بنظامٍ فيدراليٍّ على غرار كردستانَ العراق، في حين سيطر مقاتلو الفرع السوريّ لحزب العمال الكردستاني على المناطق الكردية التي انسحب منها النظام بلا قتال، وطوّر سلطة أمرٍ واقعٍ باسم "الإدارة الذاتية" في إطار سوريا موحّدة.

هناك رأيٌ عامٌ غالبٌ لدى تشكيلات المعارضة السورية السياسية والعسكرية، مفاده أن pyd "عميلٌ للنظام"، بدلالة قمعه للمظاهرات ضد النظام في المناطق الكردية. الواقع أن هذا الحزب براغماتيٌّ جداً إلى درجة القدرة على تغيير تحالفاته بمرونةٍ شديدةٍ تفقده أي مبدئية، باستثناء ما يتعلق بمصلحته الحزبية الضيقة، وهذه مرتبطةٌ إلى حدٍّ كبيرٍ بمصير قائده الأسير عبد الله أوجالان. مع انطلاق الثورة السورية، رآها الحزب الأوجالاني فرصةً لفرض هيمنته الأحادية على المناطق الكردية في سوريا والقضاء على النفوذ المحدود أصلاً للأحزاب الكردية التقليدية.

وحين توزّطت فصائل من الجيش الحرّ في الهجوم على رأس العين، أواخر 2012، ارتسمت ملامح عداءٍ متبادلٍ سيتعمّق باطرادٍ مع دخول جبهة النصرة ثم داعش على خط المواجهة.

لا يتسع المجال هنا لسرد مزيدٍ من التفاصيل، على أهميتها. مفيدٌ أكثر أن نأتي إلى الخلاصة:

بقدر ما شكل الخراب السوريّ فرصةً للكرد للحصول على وضع أكثر عدالةً، من وجهة نظرهم، في الإطار الوطنيّ السوريّ، بقدر ما كان يجب أن يشكل فرصةً للرأي العام العربيّ ليتخلص من مسبقاته الإيديولوجية ومخاوفه من "النزعة الانفصالية الكردية" في وقتٍ باتت سوريا مهددةً فعلياً بالتقسيم، ليس من قبل الكرد، بل من قبل النظام من جهة، وداعش ومن لفّ لفها من جهةٍ ثانية، والغرب "الخائف على مصير الأقليات" كما يزعم، من جهةٍ ثالثة.

ولكن قبل كل ذلك، على الرأي العام العربيّ أن يتخلص من رهاب "الانفصال الكرديّ". فإذا كانت جماعةٌ إثنيةٌ ترفض العيش معك في إطارٍ وطنيٍّ واحد، فلا يمكنك إرغامها على ذلك إلا بالقوّة والقسر، أي بالحرب الأهلية. وهذا ما يتناقض مع طموحك إلى سوريا ديموقراطية يحكمها القانون ومبدأ العدل. بالمقابل، على الرأي العام الكرديّ أن يفهم أن فرض أمرٍ واقعٍ على الغالبية غير ممكنٍ إلا بالتوافق، وإلا فالحرب الأهلية التي لا يريدها الكرد.

سيرتان للخليفة

ناصر عنتابي

حين أعلن أبو محمد العدناني، المتحدث باسم تنظيم الدولة، قيام الخلافة في أواخر حزيران الماضي؛ كان لا بدّ له من التعريف بالخليفة المجهول شكلاً ومضموناً وقتها، تمهيداً لدعوة الناس إلى مبايعته وتكفير من لا يقوم بذلك من المسلمين.

وفضلاً عن أنه "سليل بيت النبوة"، اقتصرت صفات إبراهيم عوّاد البدري التي ذكرها العدناني على "العالم، العامل، العابد، الإمام الهمام المجدّد"، الذي توفرت فيه "جميع شروط الخلافة التي ذكرها أهل العلم". وإلى جانب ذلك؛ توزّع مكاتب التنظيم الدعوية في مناطق سيطرته كتيّباً ترويجياً للخليفة بعنوان "مدّوا الأيادي لبيعة البغدادي"، كتبه البحرينيّ تركي البنعلي، الذي يعدّ أحد أبرز وجوه التنظيم الصاعدة على الصعيد "الشرعيّ"، باسم مستعار هو أبو همام الأثري. يكيل البنعلي في سطوره المديح للخليفة و"تاريخه المشهود وباعه الطويل في الجهاد"، إذ "نشأ في بيت خير وصلاح، وترعرع على الدين والفلاح"، ونال البكالوريس والماجستير والدكتوراه في الفقه. معدّداً الوظائف التي شغلها البدريّ، كالتدريس في المساجد، قبل الانتقال إلى "إمرة العمل الجهاديّ"، الذي لم يحدّد البنعلي أماكنه ولا أعمال البدريّ فيه. بالمقارنة مع القادة الجهاديين المعروفين، تبدو سيرة الخليفة، التي يحاول رسميّو التنظيم تفخيمها، ضعيفة.

فإن كان معروفاً عن أيمن الظواهري، مثلاً، أنه انحدر من أسرةٍ متعلمةٍ تعليماً عالياً، ثم اشترك في تأسيس جماعة "الجهاد" المصرية منذ ما قبل دراسته الجامعية في كلية الطبّ، وأنه تعرّض للاعتقال وقدّم للمحاكمة لمرّاتٍ عديدةٍ قبل أن ينتهي به الأمر إلى الجهاد الأفغانيّ، وتأسيس ونشر أفكار القاعدة بالاشتراك مع أسامة بن لادن؛ فإن "البغداديّ" ولد في سامرّاء لأسرةٍ متوسطةٍ، عام 1971. ونشأ ودرس في مدارس حزب البعث وصدام حسين "العلماني" في أواخر السبعينيات والثمانينيات. وشهد الفتى الحرب مع إيران، والتي أودت بحياة أخيه على جبهات القتال. والتحق بكلية الشريعة في بغداد بُعيد غزو الكويت، لينهي دراسته الجامعية ثم ليحصل على الماجستير عام 1999، مواصلاً سعيه لنيل شهادة الدكتوراه كأيّ طالب طموح يسعى إلى رفع شأنه الاجتماعيّ من خلال الشهادات العليا في دولة صدام البعثية.

وفي ضوء كلّ ذلك يصعب القول إن البدريّ كان يخطّط لشيءٍ مما حصل لاحقاً.

فحين سقط نظام صدام حسين، في العام 2003، كان الشابّ يعمل إماماً غير منتظم لمسجدٍ صغيرٍ في حي الطوبجي في بغداد، فيما يتابع دراسته. وحتى عندما اعتقل، بعدها بعام، لأربعة أشهر في معتقل بوكا، للاشتباه فقط؛ فقد خرج واستكمل حياته الدراسية التي انتهت في العام 2007 بحصوله على الدكتوراه، بحسب وثائق نشرت مؤخراً. وإن دلّ هذا على شيءٍ فهو يدلّ على أنه لم يكن منخرطاً بشكلٍ فعليٍّ في "جماعة التوحيد والجهاد" التي أسسّها أبو مصعب الزرقاويّ في العراق، والتي تحوّلت إلى تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين. وهذا ما أكّده، لصحيفة التلغراف البريطانية، أحمد الدباش، مؤسّس الجيش الإسلاميّ الذي يعدّ أحد أهمّ الفصائل العراقية التي قاتلت القوّات الأمريكية بعد 2003.

في منتصف عام 2010 قُتل أبو عمر البغداديّ، خليفة الزرقاوي وأمير ما عرف وقتها بـ"دولة العراق الإسلامية"، بعد سلسلةٍ من الهزائم مُني بها التنظيم على يد القوّات الأمريكية ومقاتلي الصحوات في الأنبار. وعقب هذه الحادثة ظهر اسم أبي بكر البغداديّ للمرّة الأولى، بعد إعلان "الدولة" مبايعته أميراً، والتعريف بمميّزاته ذاتها التي تكرّرها داعش الآن. وحول ذلك ذكر العديد من المقرّبين من تنظيم القاعدة المسؤول، ولو نظرياً، عن التنظيم العراقيّ، أنه لم تتوافر لديهم أية معلوماتٍ عن الشخص الذي بويع. وهو ما عبّر عنه بن لادن نفسه، حين طلب من "الإخوة العراقيين" أن يرسلوا له سيرةً ذاتيةً للرجل المجهول، كما جاء في إحدى رسائل آبوت أباد.

لا شكّ أن لتجربة الاعتقال والتشنّج المذهبيّ والسياسات الطائفية للحكومات العراقية التي أعقبت سقوط نظام صدام الأثر الكبير في التحوّل الذي طرأ على شخصية إبراهيم البدري، فأغوت مقولات الجهاد الشابّ سلفيَّ التوجه بعثيَّ البيئة للتعاطف معها. لكن ربما أسهم خلوّ التنظيم من الكوادر في صعود البدريّ، مثلما ساعد الفراغ في سوريا، وانسحاب القوّات الأمريكية من العراق قبلها، على إحياء التنظيم الميت. وليست لذلك علاقةٌ بالنسب ولا بالتحصيل العلميّ ولا بـ"ساحات الجهاد".

في الذكرى السنوية الرابعة لانطلاق الثورة... عن الناشط المتشائم

مروان خلف

فيما نشهد في هذه الأيام دخول الثورة عامها الخامس؛ يصعب القول إنّ التفاؤل يعمّ مشاعر السوريين وتطلعاتهم، في الوقت الذي لا تبدو فيه حصيلة الـ1440 يوماً القاسية كفيلةً بتأمين مؤشراتٍ عمليةٍ لنهاية الكارثة التي دفع ويدفع ثمنها الملايين. ولا شك أنّ هذه الحال تدفع الكثيرين منا أيضاً إلى إعلان خيبتهم والانزواء بعيداً عن تفاصيل الثورة اليومية التي طالما رافقتهم منذ آذار العام 2011، هذا إن لم نذكر الذين انصرفوا عن الفعل و"خدمة الثورة" بحثاً عن مصالحهم وما يظنون أنه نجاتهم الفردية، بعد أن أسهموا في قيامها.

يعتمد هؤلاء، في غالب الأحيان، على تبني الرأي القائل بأن الثورة انحرفت عن مسارها، أو أنها تحوّلت إلى حربٍ أهليةٍ، أو حربٍ دوليةٍ بالوكالة على الأراضي السورية، وما يشبه ذلك من المقولات الأخرى الأثقل وزناً وادّعاءً بمعرفة "حقائق" السياسة الإقليمية والعالمية التي يسهم في تعميمها "العارفون" من محللي القنوات وخلاصاتهم المجوجة التي يكرّرون.

ولسنا هنا بصدد تهوين الأمور بحثاً عن المسلمات التي تستدرّ التفاؤل، لكن إذا كانت الحجة الأساسية للناشطين المعتكفين هي الواقع؛ فإن الواقع ذاته يفرض فهماً مختلفاً لمجريات الثورة ومستقبلها.

ففي مثل هذه الأيام قبل أربع سنواتٍ، لم يخطر في بال أكبر عرّافٍ في الأرض حجم الخذلان الذي سيتعرّض له الشعب السوريّ وثورته من قبل المجتمع الدوليّ، ناهيك عن الصدمة الجدية التي أصابت الكثيرين من الذين أملوا في رؤية وجهٍ حسنٍ للنظام وحلفائه الذين كان أحدهم، حتى زمنٍ ليس ببعيدٍ، ممثلاً للخير في المخيلة العامة، قبل أن يعلن تأييده للقاتل ويطلق ميليشياته الطائفية لتقترف وتعيث بحجة المقاومة. ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ، إذ تعقّد المشهد بحضور "المشروع الإيرانيّ" وقوّاته المتنقلة بين الدول، والموقف الروسيّ، وحماقات السياسة الأمريكية المتتالية، فضلاً عن ظهور داعش وإلى ما هنالك من الأحداث المفاجئة فعلاً.

بناءً على ذلك، لا تبدو حصيلة السنوات الأربع التي مضت نتاج أحداثٍ متّسقةٍ استطاع الجميع اكتشافها أو تخيلها، كالمؤامرات التي درجت "تحليلاتنا" السياسية المعتادة على فهمها، بل نتيجة تقلباتٍ وتعقيداتٍ تراكمت يوماً بعد يوم، أسهمنا نحن أنفسنا في صنعها، مثلما أسهمنا بالصمت على حكم الأسد لسنواتٍ مديدةٍ إلى أن حان الوقت لنغيّر الواقع المفروض بالثورة عليه. فلم يُعرف من تلك الأحداث إلا ما يقبل المحاكمة العقلية وما يكشفه التراكم المؤلم للخبرة، بدليل أن أكثر ما يعرفه السوريون الآن هو الثمن الذي سيدفعونه إذا لم يقتلعوا النظام الكيماويّ وأجهزته، لأنهم اختبروا براميله وزنازينه وميليشياته الإجرامية. فإذاً، ألا يستدعي ذلك وقفةً جديةً لمراجعة الذرائع التي يستسهل إطلاقها؟

لا شك أن مجال المساهمة في العمل العامّ ليس كبيراً جداً الآن، لكن، بالمقابل، لم يكن الوضع في أفضل حالاته في ظلّ وجود سلطةٍ بشار. ولذلك يصبح استعمال المعتكفين لخطاب التشاؤم دليلاً على رغبةٍ في إراحة الضمير من تحمّل عبء المسؤولية، عبر تحويل الثورة إلى شأنٍ أكبر من قدراتهم كبشرٍ طبيعيين؛ فهي الآن "لعبةٌ للأمم" لا يقوى المتشائم المتواضع على فعل شيءٍ فيها، بعد أن قدّم ما قدّم من أثمانٍ لصالحها. ولذلك لم تعد تتوفر في الثورة تلك الجاذبية التي كانت تحققها من قبل للراغبين في التميّز، والأسلم إذاً إيجاد سبلٍ أخرى لتحقيق ذلك، بعد أن وفرت الثورة ذاتها خياراتٍ أخرى على مستوى الهجرة أو العمل أو الدراسة، ونقلت تلك الحيوات الهامشية إلى تجاربٍ جديدةٍ لم تكن في المخيلة، ولن تقوى على تقديم بديلٍ متماسكٍ للعلاقة مع شؤون البلد وثورتها.

لأن الثورة السورية لم تعد ثورة السوريين فقط، ولأنها باتت معياراً للحقّ والظلم في العالم بجذريتها وتعقيدها، فقد تعلمنا أنّ كلّ ما حدث خلال سنواتها لا يعدّ نهاية القصة، وأن إسقاط النظام ليس إلا هدفاً مباشراً نسعى إليه، وأن علينا العمل طويلاً إذا أردنا أن نجاري عمق أهدافها.

عصر الفلاحين الذهبيّ
في أهمّ كتابٍ عن تاريخ سورية الحديث

محمد عثمان

منذ صدوره بالإنكليزية، عام 1999، ينتظر قرّاء العربية ترجمة هذا الكتاب الذي ألّفه حنا بطاطو (1926 – 2000)، الأكاديميّ الفلسطينيّ الأصل الأمريكيّ الجنسية، معتمداً على مكتبةٍ واسعةٍ من الوثائق والإحصائيات والمراجع، بالإضافة إلى حصيلة عدّة زياراتٍ قام بها بطاطو إلى سورية، أجرى خلالها العديد من اللقاءات مع أشخاصٍ من مستوياتٍ مختلفةٍ في الحكم، وجولاتٍ ميدانيةٍ في عددٍ من المناطق، حاور فيها فلاحين وملاك أراضٍ وفاعلين محليين. صدر الكتاب عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بالدوحة، عام 2014، بعنوان «فلاحو سورية: أبناء وجهائهم الريفيين الأقلّ شأناً وسياساتهم».

يخصّص بطاطو الفصول الأولى من كتابه لبيان أن فلاحي سورية لا يشكلون نمطاً اجتماعياً واحداً بل أنماطاً عدّة؛ فمن الضروري التمييز، في السلوك السياسيّ كما في أشياء أخرى، بين «الفلاحين البستانيين»، كما في غوطة دمشق، وسواهم من «الفلاحين الزراعيين»؛ وبين الفلاحين ذوي الأصل المحارب، أو الفلاحين الجبليين، والفلاحين الأكثر مرونةً من أبناء السهول المفتوحة؛ وبين الفلاحين الذين لا عشائر لهم، وأولئك الذين يتمتعون بروابط عشائريةٍ قوية؛ وبين الفلاحين مالكي الأرض ومن لا يملكونها منهم؛ وبين الفلاحين الذين ينتمون إلى طوائف باطنية، كالعلويين والدروز والإسماعيليين، وتحظى لديهم التقية بأهميةٍ خاصّة، وبين من ليست لديهم هذه المعتقدات. وبرأي بطاطو، المدلّل بعشرات الاستشهادات والملاحظات الميدانية، لا يمكن وضع كلّ هؤلاء الفلاحين المختلفين في كتلةٍ واحدة، أو الافتراض أنهم يسلكون سياسياً بالطريقة ذاتها.

بعد قرونٍ من الحياة الهامشية والفقر، تخللتها ثوراتٌ غير مكتملةٍ لفلاحين محاربين، وظهرت فيها أحياناً تجمعاتٌ مهنيةٌ للفلاحين البساتنة فقط؛ أسّس الحزب العربيّ الاشتراكيّ (الذي أنشأه أكرم الحوراني) لتركيز الاهتمام على الفلاحين وتأكيد الأهمية الحاسمة لهم في حياة المجتمع السوريّ ككلّ. وسار الحزب خطواتٍ حاسمةً على طريق تحرير أعدادٍ كبيرةٍ من أفقر فئاتهم في وسط البلاد من الإحساس المخدِّر بالجبرية الصوفية، وتحويلهم من كتلةٍ سائبةٍ مفكّكةٍ إلى طبقةٍ متماسكةٍ نسبياً ذات أهدافٍ واعيةٍ ومحدّدةٍ إلى هذه الدرجة أو تلك. وفوق ذلك، وضع هذا الحزب حدّاً لعزلتهم عن الحياة السياسية السورية، وشقّ الطريق، مادياً ونفسياً، أمام التغيّرات العميقة في ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية التي أجراها نظام وريثه حزب البعث فيما بعد.

ولكن «البعثية» نفسها لم تكن قوّةً واحدةً تعمل باتجاهٍ واحدٍ أو تحت تأثيراتٍ متماثلة، بل كانت غطاءً لتشكيلةٍ من العناصر. لم يكن هناك حزب بعثٍ واحدٌ،

بل ثلاثة أحزاب كانت، رغم ترابطها المعقّد، متمايزةً تماماً في قاعدتها الاجتماعية، وإطارها الذهنيّ، واستجاباتها، وخصال أعضائها وقيادتها، والمصالح التي خدمتها. بين الحزب الرومانسيّ الذي أسّسه ميشيل عفلق وآخرون، ضمن دوائر صغيرةٍ من الطلاب والمعلمين، وانتهى دوره بحلّ نفسه عند قيام الوحدة عام 1958، وإن لم يفقد كلّ أهميةٍ في سورية إلا عام 1966، وبين البعث الذي دار في فلك «اللجنة العسكرية» التي تأسّست في القاهرة من ضبّاطٍ من خطّ زكي الأرسوزي، من أبناء وجهاء قرويين متوسّطين من الأصول الطائفية الأقلوية غالباً، واستمرّ دوره حتى وصول حافظ الأسد إلى السلطة، عام 1970، ليؤسّس بعثه الخاصّ من البيروقراطيين الموالين له، مع استيعاب عناصر مما سبقه.

كما يمكن تمييز أربع مستويات للسلطة في عهد الأسد؛ على المستوى الأوّل، وهو مستوى الاتجاهات السياسية العامة والمسائل الحاسمة بالنسبة إلى النظام، كالأمن والمخابرات والشؤون العسكرية والخارجية؛ تمتّع الأسد بسلطةٍ فرديةٍ من غير منازع. وتحته مباشرةً يأتي رجال المستوى الثاني، من رؤساء أجهزة الاستخبارات والأمن المتعددة، التي تعمل باستقلالٍ عن بعضها، وتتمتع بحرّيةٍ واسعة، وتراقب عن كثب كلّ ما يمسّ النظام. وهي عيون الأسد وأذنيه. كما يأتي على المستوى الثاني نفسه قادة التشكيلات المسلحة النخبوية، الحامية للنظام والرادعة للانقلابات، كالحرس الجمهوريّ والقوّات الخاصّة وسرايا الدفاع حتى عام 1984. وهذه التشكيلات، وهي الوحيدة المسموح لها بدخول العاصمة، هي السند الأساس لسلطة الأسد، لا القوّات العسكرية النظامية التي راح يكدّ، منذ 1970، ليبعدها عن السياسة. أما في المستوى الثالث فتأتي قيادة حزب البعث، التي لا تقارن من حيث الأهمية بقادة أجهزة الأمن أو قوّات النخبة. وتعمل هذه القيادة كهيئةٍ استشاريةٍ للأسد، وتراقب، عبر الجهاز الحزبيّ، تنفيذ سياساته تنفيذاً صحيحاً على يد عناصر المستوى الرابع، أي الوزراء وكبار موظّفي الدولة والمحافظين وقادة المنظمات الجماهيرية التابعة للحزب. وفي كلّ هذه المستويات، ولا سيما من الأرفع إلى الأدنى، حرص الأسد على تعدّد مراكز النفوذ وتوزيعه على عددٍ من الهيئات ذات التوازن المتبادل، كيلا تصبح واحدةٌ أو شبكةٌ منها خطراً عليه، أو تطالب لنفسها بسلطةٍ تزيد على ما يتوافق مع توازنات أمن حكمه.

ولكن، على الرغم من أنه صار حاكم سورية بلا منازع، ولا سيما بعد إخماد تمرّد الإسلاميين أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات، ثم تطويق محاولة الاستيلاء على السلطة التي قام بها شقيقه رفعت؛ كانت سلطة حافظ الأسد خاضعةً لحدودٍ طبيعيةٍ معينة. فلا يمكن أن نفترض أنه مطلعٌ طوال الوقت على كلّ ما يدور في كلّ جزءٍ من أجزاء نظامه الشامل، على الأقلّ بسبب ميله إلى الانعزال وإلى السماح للموظفين العاملين تحت قيادته بحرّيةٍ غير قليلةٍ في أمورٍ لا يراها ذات خطر. وفضلاً عن ذلك، كان يحدّ من سلطته، نوعاً ما، نقصُ اهتمامه النسبيّ بالمشكلات الاقتصادية أو غيرها من المسائل ذات الطبيعة الفنية، أو نقص معرفته بها. وبالطبع ينطبق هذا بدرجةٍ أكبر على أعمال الوزارات وقيادة الحزب والمنظمات المهنية والقطّاعية التابعة.

أما على المستوى الثاني من مستويات السلطة فقد لعبت القرابة والطائفة والعشيرة أدوارها الواضحة في بناء الثقة؛ فمن بين الضباط الـ31 الذين اختارهم الأسد ليحتلوا المواقع الرئيسة في القوّات المسلحة والتشكيلات العسكرية النخبوية المقرّبة وأجهزة الأمن، كانت هناك نسبة 60% من العلويين، من بينهم ثمانيةٌ من أبناء عشيرته، الكلبيّة، وأربعةٌ من أبناء عشيرة زوجته، الحدّادين. وكان سبعةٌ من هؤلاء الاثني عشر من أقربائه المباشرين، بالدم أو بالزواج. وقاد ثلاثةٌ منهم -شقيقه رفعت، وابن عم زوجته عدنان مخلوف، وابن عمّته شفيق فيّاض- أهم وحدات النخبة الضاربة؛ سرايا الدفاع التي شكّلت الدعامة الأساسية للنظام حتى 1984، والحرس الجمهوريّ الذي أصبح أحد دعائمه الرئيسية منذ 1984 فصاعداً، والفرقة الثالثة المدرّعة التي كانت تستخدم منذ 1978 كقوّةٍ احتياطيةٍ لقمع أعداء النظام في الداخل أو معاقبتهم. إضافةً إلى الدور الذي لعبه ابن الرئيس، باسل، في الحرس الجمهوريّ، منذ عام 1987 تقريباً

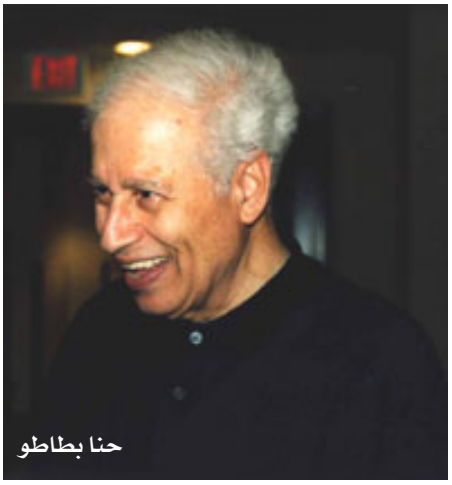
حنا بطاطو

وحتى وفاته بحادث سير في 1994، ليخلفه شقيقه بشار الذي أُدخِل مثله في برنامج الضباط القادة. وفيه تلقى شبّانٌ، مختارون بعنايةٍ، إعداداً متقدّماً في مجالاتٍ عسكريةٍ متنوّعة، بهدف تأهيلهم بوضوح لخلافة الحرس القديم من قادة القوّات المسلحة.

وبخلاف ذلك، فقد زادت نسبة البعثيين السنّة في المستوى الثالث من السلطة، وهو القيادة القطرية للحزب، بالتوازي مع زيادة تمثيل عناصر من خلفياتٍ حضريةٍ أو تجاريةٍ أو تجاريةٍ صغيرةٍ في أنساق الحزب العليا، وتعيين دمشقيٍّ، هو عبد الرؤوف الكسم، في منصب رئاسة الوزراء، بالإضافة إلى أعضاءٍ آخرين في الحكومة من أبناء المدن. ولكن كلّ ذلك أتى مع تضاؤل أهمية هذه المناصب، وعلى خلفية الصدام الدامي مع الإسلاميين خلال أعوام 1976–1982، ومحاولة استرضاء الطبقة الوسطى السنّية التي أورثتها هذه السنوات شرخاً مع النظام لم يندمل بعدها.

يبحث الكتاب بالتفصيل أربعة مفاصل أساسيةٍ في حياة الأسد، لتسليط الضوء على جوانب من شخصيته وسياساته؛ وهي هزيمته -كوزيرٍ للدفاع- في حرب حزيران 1967، وصدامه مع الإخوان المسلمين، وحرب الخلافة التي كادت تنشب مع شقيقه في عام 1984، وسلوكاته المتناقضة تجاه حركة فتح والملف الفلسطينيّ عموماً في مراحل وظروفٍ مختلفة.

ربما كان الكتاب بالفعل أهمّ ما كتب عن سورية الحديثة، ولكنه لا يخلو من ثغراتٍ وأخطاءٍ في بعض التفاصيل. وهذا أمرٌ طبيعيٌّ في جهدٍ بهذا الحجم والاتساع، ولا سيما مع أخذ زمن تأليفه، ومقدار ما كان متاحاً من معلوماتٍ وقتها، بالحسبان.

فنّ اللاجئين السوريين يرسل رسالة... هل من مستمع؟

لورا ستارتشيسكي/ الشبكة الإذاعية الأميركية NPR–1 آذار
ترجمة مأمون حلبي

عندما فرَّ الفنان السوريّ محمد العماري، 27 عاماً، من الحرب الأهلية في بلاده، الشتاء الماضي؛ لم يستطع حمل الكثير. فقط بعض الملابس وقليلاً من الأشياء الأخرى، كما يقول. إلا أنه استطاع أن يجلب بعض الألوان المائية وبعض ألواح الطباشير، وحتى بعض لوحاته. العماري وزوجته لم يكونا يريدان مغادرة بيتهما في محافظة درعا. لقد بقيا هناك في أول ثلاث سنواتٍ من الثورة، وأخيراً انتقلا من قريتهما إلى قريةٍ أخرى كانت أبعد عن النزاع. لكنهما وصلا، في العام الماضي، إلى نقطةٍ لم يستطيعا عندها أن يبقيا أكثر.

العماري مدرّسٌ لمادة التربية الفنية في مدرسةٍ ابتدائية، لكن في تلك القرية لم يكن أحدٌ يذهب إلى المدرسة. يقول: "لم تكن لديّ نقود، ولا مكان للعمل فيه، ولا شيء أفعله لأعيل نفسي وعائلتي. لقد بدا كما لو أن الحياة برمّتها قد توقفت". وهكذا قاما برحلةٍ خطرةٍ استغرقت 15 ساعة. مضيا بالسيارة إلى الحدود الأردنية، ثم مشيا لينضمّا إلى 3 ملايين سوريٍّ على الأقلّ، كانوا قد تركوا بلدهم كلاجئين. حالياً يعيش العماري وزوجته ووليدهما في مخيم الزعتري، وهو مدينةٌ حقيقيةٌ في صحراء الأردن، يقطنه أكثر من 83 ألف لاجئ. ومن جديدٍ أخذ العماري يدرّس الفنّ كمتطوّع، كل يوم لبضع ساعات. ولكي يملأ وقته فإنه يلتقط الحياة السورية -المجمّدة- في فنه. الانتظار موضوعةٌ كبرى. ما الذي سيحدث تالياً؟ ومتى؟ هذا السؤال يلحّ على معظم الناس في المخيم، يقول العماري. ولأنه عالقٌ ضمن حدود مخيّم ممتلئ بالغبار مساحته خمسة أميالٍ مربعة، فإنه يتوق لتغييرٍ المشهد الطبيعي حوله. "أحياناً نشعر وكأن المخيم سجن. يستغرق الأمر 5 شهورٍ لاحتمال حصولك على إذنٍ بمغادرة المخيم لمدة يوم أو يومين فقط، والذهاب إلى عمّان لمجرّد الخروج من هذا الجوّ، إذا وافقت السلطات المحلية". بعد ذلك، هنالك ذاك النوع الأكبر من الانتظار، وهو مؤشرٌ لفقدان اليقين الذي يواجهه السوريون. لا فكرة لديهم متى يمكن للحرب أن تنتهي، أو متى سيكونون قادرين أن يستأنفوا أيّ شيءٍ يشبه الحياة الطبيعية. يرسم العماري وجوه الأطفال والنساء ووجه جدته. جميع هذه الوجوه تشترك في هذا الشيء، الانتظار. يشرح العماري الأمر بالقول: "عندما أرى الانتظار على وجوههم وأرسمه يكونون في انتظار لحظةٍ يستطيعون العودة فيها إلى الحياة كما كانت، جميلة. نأمل أن يكون المستقبل أجمل. لكن في نفس الوقت أشعر بالهاوية. الطريق أيضاً قد يمضي بنا إلى الأسوأ". من الصعب أن يبقى المرء مفعماً بالأمل، لكن من السهل أن يشعر بالحنين.

في المخيم، قابل العماري فنانين آخرين. ومعاً يغوصون في الذاكرة ويرسمون ما يتذكرون. فأحياناً يرسمون صروحاً سوريةً لها رمزيتها يخشون أن تدمّرها الحرب، كالمسرح الرومانيّ في بصرى، أو جدران المدينة القديمة في دمشق. يقول العماري: "إننا نلتقط صورةً لسوريا؛ كيف كانت، وكيف بدت القرى والمدن

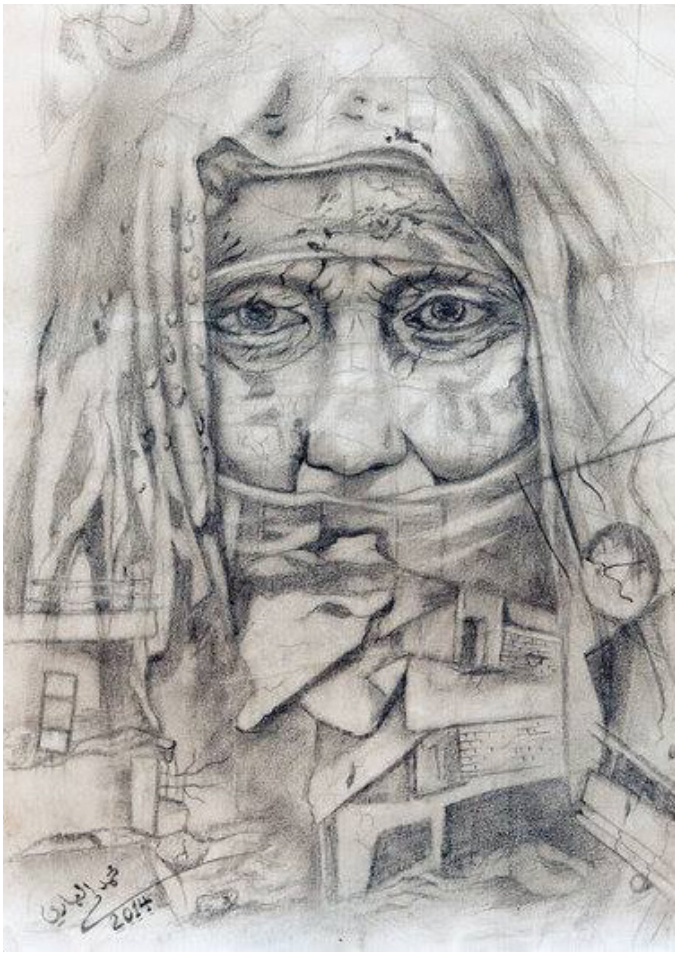

قبل الحرب". غير أن العماري مصممٌ على فعل ما هو أكثر من مجرد الانتظار. فهو يقول لنفسه إن كثيراً من الفنانين عملوا في ظروفٍ عصيبة، وبمقدوره، هو وأصدقائه الفنانين، أن يفعلوا الأمر نفسه. وهو يأمل أن يؤثر عمله في الموجودين في المخيم، حيث دعمت منظمة "الغوث والتنمية الدولية" الفنانين هناك بالتجهيزات وبمكانٍ يعملون فيه. رسم الفنانون لوحاتٍ جداريةً على الخيام القماشية ونظّموا أربعة معارض. يقول العماري إنه من المحتمل أن إيصال رسومه إلى العالم، كما حصل في هذه المعارض، من عمّان إلى كاليفورنيا، سيؤدّي إلى نوعٍ من تغيير وضع اللاجئين السوريين. صديقه، محمود الحريري، يوافقه على ذلك، ويقول: "عن طريق الفن، عملنا على مشاركة كثيرٍ من الرسائل، محاولين أن نساعد على تحسين الحياة في المخيم وإظهار الألم الذي يشعر به المرء كلاجئٍ وتصوير الحزن والدمار داخل سوريا". لكن أهو تغييرٌ فعليّ؟ تلك لعبة انتظارٍ أخرى لهؤلاء الفنانين.

يوضح الحريري قائلاً: "في المحصّلة، لم تغيّر هذه الرسائل أيّ شيءٍ بشكلٍ فعليّ، وذاك ما هو مفقود. الأمر يشبه كتابة رسالةٍ، لكن لا أحد يعطيك جواباً!"

في عنّازة بانياس..

حيث يتحول جميع صفّ الضباط إلى ضباط

شعور مؤيدي بشار الأسد، في قرية عنّازة بانياس، بالمظلومية والنفور من أجهزة الدولة والحزب ليس عميقاً إلى الدرجة التي يقاطعون فيها ضيف الضيعة، أمين شعبة البعث، في محاضرته عن العروبة والإسلام. بل على العكس، امتلأت الصالة بالحضور المؤلف من رفاق حزبيين وذوي شهداء وجرحى ومفقودين، وأعضاء في جمعية عنّازة بانياس الخيرية. وبتغطية إعلامية من صفحات الفيسبوك الثلاث المعنيّة بأحوال الضيعة، إضافةً إلى فيسبوكيين مستقلين ينافسون الصفحات الرسمية على جذب المعجبين.

خلال نصف ساعة من المحاضرة، كان الإسلام عقيدةً عربيةً مطابقة تماماً لحزب البعث بنسخته الأسدية البشارية، وكانت العروبة قوميةً قديمةً قدم سفينة نوح، وكانت "الأزمة" قدراً مكتوباً ومؤامرةً كونيةً يقف في وجهها الجيش السوريّ المقدس. وكان الحضور مؤدّياً خير أداء لواجبات الاستماع، قبل أن ينقضّ على المسؤولين البعثيين الزوّار بسيل من المطالبات تبدأ بتخصيص "سرافيس لولاد الضيعة الموظفين بطرطوس"، الذين يعانون من الازدحام و"البهدلة قدّام طمع ووقاحة الشوفيرية المدعومين"، وتنتهي بالمطالبة بردم الحفرة أمام مقرّ البلدية، وغير ذلك من المطالبات العشوائية العامة والخاصة، قبل أن يأخذ "الرفيق سليمون"، ابن العنّازة وأمين فرقتها الحزبية، الكلام، محدّداً ثلاثة طلباتٍ رئيسيةً هي: افتتاح مكتب للإسمنت في الضيعة، وافتتاح صرّافٍ آليٍّ فيها لتخفيف معاناة الجرحى وتوفير نفقات السفر إلى بانياس لاستلام الرواتب، وتفعيل محطة تحويل الكهرباء الشرقية. والأهمّ من كلّ هذا أن تتحوّل أقوال المسؤولين إلى أفعال.

جانبٌ من الحضور في اللقاء مع أمين شعبة البعث - العنازة

كلّ شيءٍ كان على ما يرام في وقائع المحاضرة قبل أن يشاغب أحدهم بفتح سيرة نصّاب محليٍّ شهير "ميتمسح بثوب المشايخ"، يطلق على نفسه لقب "سيد الرعد"، وطرح على الضيف سؤالاً اعتبره معظم الحضور وقحاً، عن سبب تغاضي الدولة عن أعمال "سيد الرعد" المشينة وعجزها عن وضع حدٍّ له. ثم خاطب المشاغب مجلس إدارة الجمعية الخيرية المشاركين و"المشكورين على جهودهم"، متسائلاً: "بدنا نعرف وين متروح هالتبرّعات، وشو المصاريف الحقيقية لتعازي الشهداء؟ وليش متنسّب الجمعية أطفال ميرضعوا ومتعطيهم أرقام؟!". أثارت الأسئلة غضب مجلس الإدارة. وفشلت جهود الرفيق سليمون، ودعوته إلى "عدم نشر الغسيل الوسخ"، في تهدئة الأمور. بل كان لها دورٌ في تسعير الغضب، وخاصّةً مع لفتة "الغسيل الوسخ" التي تسيء إلى جهود الجمعية في صيانة المقامات والمقابر، وتحمّل تكاليف بيوت عزاء الشهداء، والحفاظ على سيارة الإسعاف على أتمّ الاستعداد، بحسب ما حدّد أحد الأعضاء أهداف الجمعية المعروفة والمعلنة على صفحتها على فيسبوك. ومن الصفحة أعاد المشاغب هجومه متسائلاً عن سبب خرق القوانين بتنسيب الطفلين الغيدق مهران غانم (سنتان ونصف) وهمسة مهران غانم (11 شهراً) إلى الجمعية ومنحهما الرقمين التسلسليين (153-152) على التوالي؟

وتساءل المشاغب كذلك عن حقيقة ما يشاع عن نية الجمعية تقسيم الحيّز المخصّص للشهداء في المقبرة إلى جزئين، واحدٌ للضباط وآخر لصفّ الضباط. منوّهاً إلى أن هذه النوايا -إن صحّت- ستخلق "حساسيات" كثيرةً بين ذوي الشهداء، مذكراً الجميع بترفيع أيّ صفّ ضابطٍ إلى ملازم شرفٍ فور استشهاده، وفق مرسوم "السيد الرئيس".

مجلة عين المدينة | نصف شهرية سياسية متنوعة مستقلة
- لا تعبر المقالات المنشورة عن رأي المجلة بالضرورة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.
فيس بوك facebook.com/3aynAlmadina
تويتر twiter.com/3aynAlmadina
www.3ayn-almadina.com | info@3ayn-almadina.com

أربعة أعوام
والثورة مستمرة
#ارفع_علم_ثورتك
١٣/٣/
٢٠١٥
مجلس ثوار حلب

٤ سنين مستمرين
ولسا بدنا حرية
٢٠١٥/٣/١٥
رابطة الشباب المثقفين
معرة النعمان

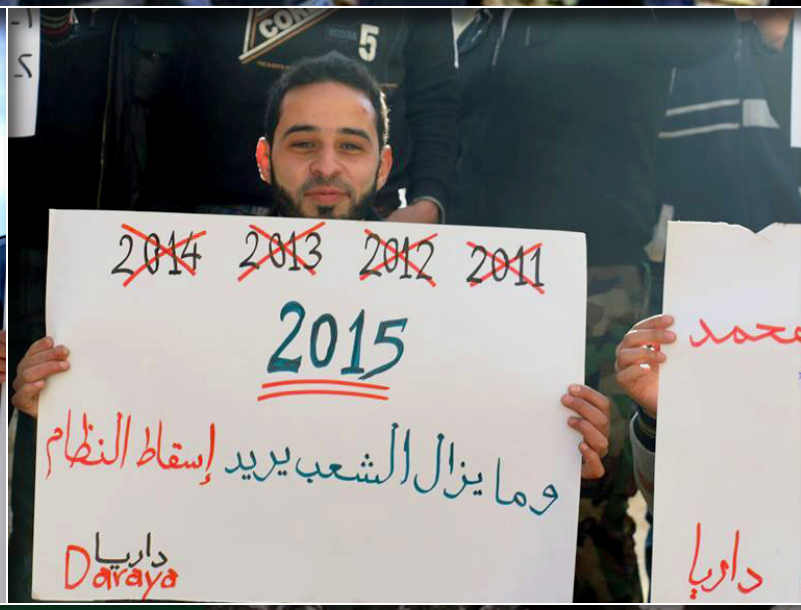
2014 2013 2012 2011
2015
وما يزال الشعب يريد إسقاط النظام
داريا
Daraya

سنعيش الثورة وكأنها ستدوم أمدا...
ونعمل لما بعدها وكأنها منتصرة غدا.
احتفالية عيد الثورة - نساء التجمع الوطني لأحرار حماه